سلسلة الأعمال المجهولة

علي أحمد باكثير

فاوست الجديد



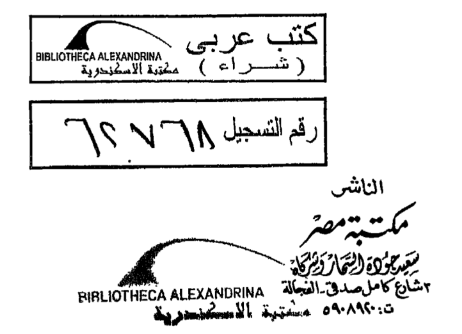
بة مصر

الأعمال المجهولة

على أحمد باكثير

فاوست الجديد

مسرحية من أربعة فصول



مقدمة

بقلم

د. محمد أبو بكر حميد

انطلق على أحمد باكثير (١٩١٠ ـ ١٩٦٩م) فى كل ما كتب من التصور الإسلامي للكون والوجود والحياة ، وقد استطاع أن ينطلق بأدبه على جناحي هذه الرؤية المستنيرة إلى آفاق عالمية ، فلم يقتصر فى أعماله الأدبية عامة والمسرحية خاصة ، على معالجة الموضوعات والقضايا المرتبطة بالعرب والمسلمين زمانًا ومكانًا ، بل انفتح على التراث الإنسانى وحضارات ما قبل الإسلام ، يستوحى تاريخها وأساطيرها ، ويتخذ من مادتها أشكالاً فنية يعبر من خلالها عن أفكار جديدة .

وينفرد باكثير برؤية غاية فى الأهمية وسعة الأفق ، يعطى بها للأدب العربى بعدًا عالميًا حين يرى أن استلهام الأساطير الأجنبية وتاريخ الحضارات الإنسانية البعيدة عن الإسلام زمانًا أو مكانًا ، تعد أهم جسر عبور للأدب العربى إلى العالمية ، شريطة أن يصب الأديب العربى فى هذه القوالب الفنية ، مضمونًا يعكس بصدق وإخلاص فكر أمته وفلسفتها فى الحياة ، وبالتالى فإن الشعوب الأخرى التى تطلع على هذا العمل الفنى المستمد موضوعه من تراثها ، لن تجد صعوبة فى فهمه واستيعاب المضمون الجديد الذى حمله .

ويرى باكثير أن أحداث التاريخ ــ والأسطورة خاصة ــ تعين الكاتب على إعادة تشكيل مادتها الفنية بحيث تلائم المضمون الذى يريد صبه فيها[1] . وفى هذا

---

(١) راجع كتابه (فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية) ، مكتبة مصر ، ب.ت ، ص ٣٩ .

الصدد يقول ما نصه : « وأيا كان الموضوع الذى يعالجه الأديب العربى سواء كان عربيًا أو غير عربى ، فالعبرة بالروح التى تكمن فى مضمون العمل الأدبى ، إذ يجب على الدوام أن تكون عربية أصيلة . وبهذه الطريقة يستطيع الأديب العربى أن يعالج ما يشاء من الأساطير الفرعونية أو السومرية أو اليونانية أو الهندية علاجًا جديدًا يتسم بالروح العربية ، ويعبر عن وجهة النظر العربية ، ويصور موقفنا من قضايا الوجود والكون والحياة . وبهذه الطريقة أيضًا يستطيع الأديب العربى أن يجسد الرسالة العربية الخالدة (الإسلام) فى عمل أدبى حى ، يعرف العالم كله موضوعه فى صورته الأسطورية الأولى ، فلا يجد أبناء الأمم الأخرى صعوبة فى فهم وإدراك المغزى الجديد الذى يحمله ذلك العمل ، ومن ثم يتأثرون به ، فيتأثرون فى الحقيقة بالمعانى المنبثقة من رسالة العرب الخالدة »[1] .

فلا عجب إذًا أن يبدأ باكثير حياته الأدبية فى مصر بتأليف مسرحية يستمد قصتها من التاريخ الفرعونى وهى مسرحية « إخناتون ونفرتيتى » . وقدّم فى هذه المسرحية تفسيرًا إسلاميًا لفشل إخناتون فى نشر دعوته[2] . ويمثل هذا المنهرج عالج باكثير أسطورة أوديب الإغريقية البعيدة عن الإسلام وتاريخ الإسلام فى مسرحية « مأساة أوديب »[3] .

---

(١) من حديث بصوته فى إذاعة الكويت أبريل ١٩٦٩ م .

(٢) (إخناتون ونفرتيتى) كتبها سنة ١٩٣٨ م وصدرت سنة ١٩٤٠ م ، وصدّرها بالآية القرآنية : ﴿ ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك ﴾ ، ثم اتخذ من هذا سنة ، فيصدر معظم أعماله بآية من القرآن تكون مفتاحًا لمضمون المسرحية . فقد ظهر إخناتون لباكثير متفقًا مع الإسلام فى الدعوة إلى التوحيد والمحبة والسلام ، ولكنه فى رفضه محاربة المرتدين عنه والمعتدين على دولته ، كان بعيدًا عن منهج الإسلام ، فكان ذلك تفسير باكثير لهزيمته ونهايته .

(٣) وكان أحد النقاد الكبار قد اعترض على المضمون الإسلامى الذى عبر عنه باكثير من خلال هذا الشكل الفنى الإغريقى . ويروى باكثير ما حدث معه فيقول : « ولعل من الطريف أن أروى حادثة وقعت لى مع ناقد مرموق من نقادنا المحدثين ــ توفى منذ بضعة أعوام ــ رحمه الله ــ قال لى فى موضوع التعليق على مسرحية « مأساة أوديب » بأى حق يا فلان جعلت أوديب يعتنق الإسلام ، وهو وثنى إغريقى عاش قبل أن يظهر الإسلام بعشرات القرون ؟ فقلت له : وماذا =

كتب على أحمد باكثير مسرحية (فاوست الجديد) سنة ١٩٦٧ م ، وتركها مخطوطة مع عشر مسرحيات وأعمال أخرى عثرنا عليها فى مكتبه بعد وفاته بعدة سنوات . وكان من حظ هذه المسرحية - ولأهميتها أيضًا - أن باكثير قدمها لإذاعة البرنامج الثانى بالقاهرة ، فأذاعتها سنة ١٩٦٨ م . وقد تكررت إذاعتها بعد ذلك أكثر من مرة ، وأدى هذا إلى تسرب النص إلى أيدى الباحثين والدارسين ، فتناولته معظم الأعمال التى تعرضت لدراسة أسطورة فاوست فى المسرح العربى . ولا أعرف إن كان النص المسرحى الذى ننشره الآن لأول مرة ، هو نفسه النص الذى أذيع بالإذاعة ؟ أم أن النص الذى أذيع حدث به تغيير تقتضيه ضرورة الدراما الإذاعية ؟ المهم أن النص الذى بين أيدينا الآن هو نص المسرحية الأصلى الذى خطه المؤلف لفاوسته الجديد .

وتعتبر هذه المسرحية من أنضج مسرحيات باكثير فنيًا وفكريًا ، وقد اتجه باكثير فى مسرحيات المرحلة الأخيرة من حياته إلى الشكل الفنى الذى يقوم على « العمق » فى رسم

- يضيرك يا دكتور ؟ إنى لو وجدت مذهبًا أو عقيدة أسمى من الإسلام ، وأقرب إلى المنطق والعقل منه لجعلت أوديب يعتنقه ، ولكن ما حيلتى ، لم أجد أسمى ولا أعظم من الإسلام ؟ » وأقرب الظن أن هذا الناقد هو د. محمد مندور .

ويعلق باكثير على هذه الحادثة فيقول : « والواقع أن ذلك الناقد وأمثاله قد فقدوا الإيمان بأمتهم ، ورسالتها ، ففقدوا الإيمان بأنفسهم وفتنوا بالأفكار التى غرتهم من الخارج فاستسلموا لها راضين مختارين ، فلا غرو أن يزعجهم صوت ارتفع من ضمير أمتهم وطفق يقرع أسماعهم مذكرًا إياهم بالحجة والبرهان ، أنهم حين تركوا تراث أمتهم وتعلقوا بتراث غيرها كانوا قد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير » . (إذاعة الكويت ، بصوته ، أبريل ١٩٦٩م) .

وهذا يؤكد أن مواقف نقاد هذه المرحلة من ذوى الميول اليسارية والماركسية من أعمال باكثير كانت مواقف عقائدية وليست نقدية على نحو ما فعل د. شمس الدين الحجاجى فى كتابه «الأسطورة فى المسرح المصرى المعاصر» . الذى لم يستطع أن يرى محاسن الشكل الفنى عند باكثير ، واعتبر الالتزام الإسلامى عند باكثير نقط الضعف فى فنه ؟!

الشخصية والحدث الدرامى . واقتضى تحقيق هذا الغرض الفني منه أن يسير بالأحداث أفقيًا لا رأسيًا ، وأن يعطي عناية أكبر للبعد النفسي للشخصية . ولهذا اقتصر المؤلف فى (فاوست الجديد) على عدد قليل من الشخصيات وعدد أقل من الأحداث ، وذلك على عكس ما فعل جوته فى مسرحيته كما سيأتى تفصيله فيما بعد .

ومن الواضح أن باكثير خطط لهذه المسرحية تخطيطًا محكمًا ، بعدد قليل من الشخصيات وعدد أقل من الأحداث . ففي الفصول الأربعة للمسرحية لا يحمل كل فصل أكثر من حدث واحد أساسي . وقد لاحظنا أن الحدث يصنع موقفًا والموقف يقود الحركة الدرامية طوال الفصل ويُصعِّد الصراع إلى الفصل الذى يليه . ففى الفصل الأول يتمثل الحدث في يأس فاوست من الحياة بسبب ابتعاد مرجريت عنه وعدم وصوله إلى معرفة الحقائق الكبرى مما يؤدى إلى « موقف » نتيجته الاتفاق مع الشيطان . وفى الفصل الثانى نجد «الحدث» يتمثل فى غرق فاوست فى المتع الحسية وحياة المجون التى جلبها له الشيطان من جهة واكتشافه أن الشيطان يعرقل طريقه للمشاريع العلمية التى تفيد الإنسانية ، فيكون «الموقف» اكتشاف فاوست لحقيقة الشيطان وبداية وعي جديد في حياته ينتهى بمحاولات السمو بروحه فوق ملذات الجسد . وفى الفصل الثالث يكون «الحدث» فى وصول بارسيلز إلى قمة الضلال حين يتآمر مع الشيطان على صديقه فاوست ويصل فاوست إلى قمة الهداية حين يرفض بيع مكتشفاته العسكرية لأى من الدولتين الكبريين حتى لا تستخدم لإبادة البشرية واستعبادها ، ويكون « الموقف » قرار فاوست أن يترك الشيطان بلا رجعة وأن يطلب العلم من ا لله وحده . وفى الفصل الرابع والأخير يكون «الحدث» فى أنباء دخول جيوش الدولتين الكبريين للبلاد للاستيلاء على مكتشفات فاوست فيكون «الموقف» إقدام فاوست على إحراق كل الأوراق المتعلقة بمخترعاته العسكرية حتى لا تقع فى أيدى الذين يدمرون الحضارة البشرية .

وبناء على هذا التقسيم ، أطلقنا مسمى « المسار الأفقى » للحدث الدرامى ، فالصراع فى كل فصل كان عبارة عن « حدث » و« موقف » أو « فعل » و« رد فعل » وكانت

ردود الأفعال هذه التي يتخذها البطل فى آخر كل فصل تقف وراء « الموقف » الذى ينتهى به «الحدث» فى نهاية الفصل ويكون حلقة فى الصراع الصاعد الذى يقوده فاوست من أجل الوصول إلى تحقيق أهدافه الكبرى . وبهذا التصور تقف «الأحداث الدرامية» متجاورة على خط أفقى أما « الموقف » أو ردود أفعال البطل نحوها فهى تمثل خط الصراع الصاعد الذى يربط بين هذه الأحداث جميعًا إلى نهاية المسرحية . ومن هنا كان الحدث الدرامى فى المسرحية أشبه بحجر يُلقى فى بئر أو بركة ماء فينشر مساحات أفقية على السطح ثم يغوص إلى الأعماق السحيقة . ولهذا كانت الحركة الدرامية الحقيقية للصراع تحدث فى أعماق فاوست ، وأن ما كان يحدث أفقيًا على السطح لم يكن إلا أثرًا من آثارها . فلا عجب إذن أن نجد « الحوار الذهنى » يشكل فى هذه المسرحية عنصرًا أساسيًا من عناصرها ، ليس فقط استجابة « للمضمون الدسم » الذى حملته ، بل أيضًا استجابة للشكل الفنى الذى اصطنعه المؤلف خصيصًا لحمل هذا المضمون .

اقتصر باكثير فى هذه المسرحية على سبع شخصيات فقط ، جعل ظهورها على خشبة المسرح ظهورًا تدريجيًا ومنظمًا وهى : الشيطان وبارسيلز صديق فاوست ومرجريت عشيقة فاوست وإيمى عشيقة بارسيلز ، والخادم واجنر وخطيبته أوجا . وقد استطاع المؤلف أن يرسم هذه الشخصيات بدقة ويدير حركتها بإتقان وإحكام ، وبطريقة يخدم فيها التشكيل الفنى وأسلوب التعبير الدرامى عن « المضمون الجديد » الذى يريد طرحه فى هذا العمل .

وقد تم تشكيل هذه الشخصيات فى أعداد زوجية ـ واعتمد فيه على أسلوب رسم الشخصية بالتضاد ـ يجعل طريقة تفكير كل اثنين تربطهما صلة تسير فى خطين متوازيين بحيث يظهر التباين فى كل زوج . ولم يكن الهدف الدرامى من هذا التقسيم الثنائى للشخصيات إظهارا للتوافق بقدر ما كان إظهارا لتباين الذى يحركِ الصراع كلما مال إلى السكون . فإذا تأملنا بعمق أكثر مظهر هذا التشكيل الدرامى الذى يرسمه لنا باكثير ، وجدنا أن حلقات العلاقات التى تربط الشخصيات بعضها ببعض تشكل بؤرًا صغيرة للصراع ؛

لأن هذه الشخصيات جميعًا تتباين مع فاوست ، وفاوست نفسه يقف بالتضاد مع الشيطان على رغم الاتفاق معه بعقد .

وإذا أردنا أن نسمى هذه « العلاقات » التى تربط شخصيات المسرحية بفاوست (الشخصية المحورية) ، وجدنا أنه فى علاقته بالشيطان كان منذ البداية على حذر تطور إلى خلاف ثم إلى عداء . ووجدنا أن علاقته بمرجريت علاقة حب لكنها على خلاف معه انتهى إلى وفاق ، وعلاقته ببارسيلز علاقة صداقة لكنه على خلاف معه انتهى إلى خيانة بارسيلز ، حتى علاقته بالخادمين واجنر وأوجا تدخل فى هذا الإطار ، وأن هذه الخلافات فى معظمها خلافات تقوم على المبادئ والقيم ، فمرجريت اختلفت مع فاوست وابتعدت عنه إلى الدير لأنه قام بتزوير النقود مع صديقه بارسيلز ، وبارسيلز يختلف عن فاوست رغم الصداقة والاهتمامات العلمية المشتركة التى تجمعهما ، ففاوست لم يقبل أن يكذب على مرجريت فى مسألة تزوير النقود ، وهو حزين على ابتعادها عنه لدرجة أن يفكر فى الانتحار ، وبارسيلز لا يؤمن بالحب ويرى أن المرأة ليست أكثر من متعة ولا تستحق هذا الاهتمام كله . أما واجنر وأوجا فيظهران فى قمة اغترار فاوست بالشيطان متمسكين بالدين ويترددان على الكنيسة .

ومع ذلك ، فإن نقاط الخلاف السلبية فى القيم والسلوك بينه وبين من حوله ، كانت وسائل فنية ألقت مزيدًا من الضوء على شخصية فاوست من خلال مواقف الشخصيات الأخرى . ففاوست وبارسيلز مثلاً يسير تطور شخصيتيهما بالتناقض إلى النهاية ففى حين يتطور فاوست إلى الأفضل يتطور بارسيلز إلى الأسوأ ، فالعلاقة بينهما تسير فى حركة تضاد فكرى تقوم على المفارقة الدرامية الساخرة ؛ فبارسيلز الذى يظهر فى بداية المسرحية محاولاً منع فاوست من الانتحار يموت منتحرًا فى آخر المسرحية وفاوست يحاول منعه من الانتحار !!

وبالمثل نجد أن التوظيف الدرامى « للاتفاق » الذى وقعه فاوست مع الشيطان يأتى بنتائج عكسية على كل منهما ، ففى حين يكون خير فى حياة فاوست إذ

يكتشف حقيقة الشيطان الذى يريد غوايته وإبعاده عن كل ما فيه صالح البشرية يؤدى ببارسيلز للإغراق فى الضلال فيحسد بارسيلز فاوست على تحالفه مع الشيطان ويحاول أن يكون له مع الشيطان عقد مشابه فيرفض الشيطان لأن بارسيلز قد تحول إلى شيطان آخر دونما حاجة إلى إبرام عقد معه لإغرائه !

ومن هنا يظهر التصوير الدرامي بالتضاد فى علاقة الشيطان بكل من فاوست وبارسيلز ، ففاوست الذى يتفق بعقد مع الشيطان يسير بالتضاد مع الشيطان وأن الذى لم يكتب الشيطان عقدًا معه يتوحد مع الشيطان ويخدمه . وقد مهد باكثير لفكرة التوحد بين شخصيتى الشيطان وبارسيلز ، حين نرى الشيطان فى الفصل الأول يظهر لفاوست لأول مرة على هيئة بارسيلز ، الأمر الذى يجعل بارسيلز معادلاً بشريًا للشيطان ، فبارسيلز يخون صديقه فاوست فى سبيل الحصول على مائة مليون مارك تعطيه له إحدى الدولتين الكبريين مقابل تسريب أسرار المكتشفات العلمية الخطيرة التى بحوزة فاوست ويدخل ويقتل صديقه فاوست تنفيذًا لأمر الشيطان ، ولكن يخيب أمله إذ يكتشف أن الشيطان يمتنع عن مكافأته لأن فاوست حرق كل الأوراق التى تخص مكتشفاته العلمية فلم يعد قتل فاوست مفيدًا ، وينصح الشيطان بارسيلز بالانتحار قبل أن تشنقه الدولتان الكبريان لعدم تمكنه من الحصول على أوراق فاوست التى وعد بها . ويخسر بارسيلز كل شىء إلا فاوست الذى عفا عنه قبل موته بلحظات ، وطلب منه أن يتوب إلى الله أرحم الراحمين . وينصح فاوست بارسيلز أنه من الأفضل له أن يموت مشنوقًا لكى يبقى باب المغفرة له مفتوحًا ، لكن الشقى يعرض عن نصيحة صديقه فاوست ويموت منتحرًا .

وكان حرص فاوست على عودة مرجريت إليه أحد أسباب اتفاقه مع الشيطان الذى يعيد إليه مرجريت ، وقد تغيرت تمامًا وتحولت إلى امرأة ماجنة بين يديه . وعندما يختلف فاوست مع الشيطان تعود مرجريت الحقيقية ويكتشف أن مرجريت الداعرة كانت وهمًا من صنع الشيطان وتدعوه مرجريت إلى الله ولكن الشيطان

يغريه بها فيسقيها مخدرًا وينتهك عرضها فيكتشف أنها عذراء وأنها بالفعل مرجريت الحقيقية فيندم أشد الندم . وفى النهاية نرى مرجريت على فراش الموت وفاوست حزين عليها يدعو الله لها بالشفاء ، فلما عرفت مرجريت صدق توبته تمنت أن تموت وتلقاه عند الله . وبهذا تكتمل شخصية فاوست بعودة مرجريت إليه رمز الطهارة والإيمان ، وكأن باكثير يريد أن يقول أن دور الرجل لا يكتمل إلا بدور تؤديه المرأة إلى جواره[١] . وكان دور مرجريت الوسيلة الفنية الأساسية التى استكملت بها شخصية فاوست بقية ملامحها التى تتمثل فى الإيمان با لله والإيمان برسالة الإنسان نحو أخيه الإنسان .

وبناء على هذا ، نستطيع القول بأنه ليس عجبًا أن يجد باكثير فى فاوست جوته لا فاوست مارلو البنية الفنية والفكرية الأساسية التى يريد أن ينطلق منها . فالأثر الإسلامى ليس بمستغرب على جوته لما هو معروف عنه من تأثره بالقرآن وإعجابه بشخصية الرسول ﷺ ، ولهذا لم يجد باكثير صعوبة فى إعادة صياغة هذه المسرحية بحيث تعبر عن المضمون الجديد الذى أراد أن يعبر عنه فى (فاوست الجديد) ، ويعد للأدب العربى جسرًا جديدًا يحمل التصور الإسلامى للعالم الغربى الذى ولدت فيه هذه الأسطورة ، وهو هدف من أهداف العبور بالأدب العربى إلى ثقافات أخرى وإلى آفاق عالمية .

* * *

والآن .. ما الذى بقى من فاوست جوته فى (فاوست الجديد) بعد ما رأينا ما أحدثه باكثير فى صياغته الجديدة لشكل المسرحية وشخصياتها ؟

استغنى باكثير فى مسرحيته - لأسباب فنية - عن الاستهلال الذى بدا فى السماء فى فاوست جوته ، حيث عرض إبليس على رب العالمين استعداده لإغواء

---

(١) وقد تكررت هذه الرؤية فى عدد من مسرحياته مثل (إخناتون ونفرتيتى) كما برزت فى أعماله فكرة تبرئة المرأة من الخيانة على نحو ما برأ بدور من خيانة شهريار فى (سر شهر زاد) .

فاوست ليكفر بالله رغم اتفاق هذا المشهد مع العقيدة الإسلامية . واحتفظ بالهيكل الأساسى للشخصيات الرئيسية بعد أن أعطاهـا أدوارًا جديـدةً . احتفـظ بشـخصية مرجريت حبيبة فاوست كشخصية رئيسية ، إلا أنه استبعد التعقيدات التى ارتبطت بها فى مسرحية جوته ، كما تخلص من قصـة أسرتها واكتفـى بشـخصيتها وحدهـا وجعلها فى صورة المرأة الطاهرة القادرة على إنقاذ الرجل من الضلال ، وتخلص من مشهد (ليلة فالبورج) الذى يندم بعده فاوست جوته على تدنيسه عـرض مرجريت وتسببه فى موت أمها وقتله أخاها بيده . لم يرد باكثير أن يحمّل فاوسته الجديد كـل آثام هذه القضية الاجتماعية فقد كان كل ذلك ـ من الناحية الفنية ـ يشـكل عبئًا على الحبكة الدرامية عند جوته . كما تخلص باكثير من عنـاصر السـحر والشعوذة عند فاوست ، ذلك لأن فاوست الساحر عند جوته يطوف الممالك ويريها عجـائب سحره . وألغى باكثير فكرة زواج فاوست من هيلين وإنجابه منها الذى نتجـت عنـه تفاصيل كثيرة أخرى لا يمكن أن تحتملها (فاوست الجديد) لأنهـا تسـتحق أن تعـالج فى مسرحية مستقلة . كل تلك العناصر استبعدها باكثير من مسرحيته .

أما الشخصية الرئيسية الثانية فى فاوست باكثير ، فهو بارسيلز الـذى يقـابل شخصية فاجنر فى فاوست جوته ، فكلاهما صديق لفاوست ولكـن الفـارق بينهمـا كبير . ففاجنر عند جوته أستاذ جامعى قنوع بما حصله مـن العلـم ، وهـو شـخصية بسيطة غير معقدة ذلك التعقيد الذى نجده فى شخصية بارسيلز صديق فاوست عند باكثير . فبارسيلز باكثير شيطان آخـر فـى شـكل إنسان ينجـح فيمـا لم ينجـح فيـه إبليس نفسه .

أما شـخصية فاوسـت باكثير فإنهـا تتشـابه مـع شـخصية جوتـه فـى كثـير مـن الملامح ، فكل من فاوست جوته وفاوست باكثير يـدور فـى نفسـيهما صـراع بـين قوتين .. صراع بين قـوة تجذبهمـا إلى الأرض للإغـراق فـى ملـذات الحـس ، وقـوة تدعوهما إلى السمو والارتقاء فى مدارج العلم وتحقيق طموحات الروح . ومـا بـين

شهوات الجسد وطموح الروح يعيش فاوست عند جوته وباكثير حياة يتحقق فيها معنى الآية الكريمة ﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾ ، التى صدّر بها باكثير مسرحية (فاوست الجديد) .

وتقوى فاوست عند جوته وباكثير تتجلى فى الشعور بالندم وتأنيب الضمير عند ارتكاب الذنب أو إتيان الفاحشة ، ففاوست جوته يطلب العزلة لمحاسبة النفس الأمارة بالسوء بعد (ليلة فالبورج) أما فاوست باكثير فإن تأنيب الضمير لم يفارقه منذ بداية المسرحية ، ومثلما كانت نهاية فاوست جوته إلى الغفران كانت نهاية فاوست باكثير ، وإن كان قد سبقهما إلى هذه النهاية ليسنج رائد عصر التنوير فى ألمانيا فى مسرحيته عن (فاوست) .

فعند كل من جوته وباكثير ينتهى كل من مرجريت وفاوست إلى النجاة والظفر بمغفرة الله ، ولكن نجاة كل منهما تتم عبر حوادث مختلفة وبمنهج درامى مغاير . ويتمرد فاوست جوته فى آخر حياته على الشيطان ، وبموته يخسر الشيطان الرهان ، وتتنازع ملائكة الرحمة وملائكة العذاب روحه فتفوز به ملائكة الرحمة ، ويلتقى بحبيبته مرجريت بعد أن تقبل الله توبتها لينعما بغفرانه وعفوه ورضاه .

والحقيقة أن تمرد فاوست باكثير على الشيطان يأتى أكثر وضوحًا ـ من الناحية الفكرية ـ من تمرد فاوست جوته . فقد كان فاوست باكثير منذ البداية عالمًا مؤمنًا بالله لكن علمه المحدود قصر به عن الوصول إلى الإيمان المطلق العميق ، فلما وقع فى أزمته مع مرجريت ضعف إيمانه بربه فسمعناه يقول فى بداية الفصل الأول مقارنًا نفسه ببارسيلز : « يا إلهى ، أين عدلك وحكمتك !! أريد بها الخير فأشقى ويريد بها الشر فينعم ؟! » . ومن هنا كان مدخل الشيطان عليه من نقطة ضعفه الأساسية حين وعده بأن يحضر له مرجريت ويحقق له بقية أحلامه فى أبحاثه العلمية .

وبعد هذا يقود باكثير الأحداث فى إطار الآية الكريمة ﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا ﴾ (النساء ١٢٠) ، حيث يكتشف فاوست أن الشيطان لم يقدم له إلا المتع الوهمية الزائلة والزائفة من جهة ، وعرقلة مشاريعه العلمية التى تخدم البشرية من جهة أخرى ، فيمضى متجاوزًا الشيطان معرضًا عنه .. منطلقًا نحو أهدافه السامية للوصول إلى ذلك الكشف الخطير الذى يحول الصحارى إلى جنان وغابات ومروج . وهو أمر يرفضه الشيطان ويحاول أن يثنيه عنه ، ولكن هيهات .

يصل فاوست باكثير إلى قمة امتلاكه لإرادته عندما يرفض « هيلين » البارعة الجمال التى قامت من أجلها حرب طروادة ، ويدخل فاوست باكثير فى أعنف صراع قادته شخصية مسرحية مع النفس الأمارة بالسوء . وبالفعل يأتيه الشيطان بهيلين متجردة ترقص له ، وتراوده عن نفسه بأقوى أسلحة الجمال الفتان فيستعصم ويصرخ وهو يبعدها عن نفسه : « الله ... الله ... لقد رأيت نور الله » فكان ذلك برهان ربه . وفى هذا استلهام غير مباشر للقيم الإيمانية والخلقية فى القصص القرآنى ، فقد سار باكثير بفاوست وهيلين فى خط درامى مطابق لقصة يوسف مع امرأة العزيز حين لا يجد الشيطان حيلة إغواء للرجل أقوى ولا أشد من جسد المرأة الجميلة التى لا منقذ منها للبطل إلا رؤية برهان ربه . ويصل إلى مرحلة من النقاء والشفافية إلى درجة جمع فيها الأبد كله فى لحظة واحدة ، وصفها بقوله : « لا أستطيع أن أصفها إلا أنها كانت ومضة خاطفة ، ووجدتنى وسط حلقة من النور تدور بسرعة هائلة ، وهى تتسع وتتسع وتتسع حتى احتضنت الوجود كله ! » .

هنا يقف فاوست الجديد على قمة إيمانه ويعلن غاية وجوده : « أن أعرف الله وأحبه وأعبده » .. « أن أعرفه عن طريق العلم ليتسنى للناس جميعًا أن يعرفوه فيعيشوا فى حب وسلام » . ويبقى التفسير الجديد الذى يقدمه باكثير لفاوست أن فاوست عندما انصرف عن الشيطان وفقه الله لمزيد من العلم بجهوده الذاتية ، فأدى

اتساع علمه إلى عمق فى إيمانه بالله الذى أعاد إليه مرجريت الحقيقية وحقق لـه مـا يصبو إليه من كشوف علمية تخدم البشرية وعفى عنه وغفر له .

وهكذا سار باكثير فى مسرحية « فاوست الجديد » على منهجه فى التعبير عن فكرة إسلامية بشكل غير مباشر من خلال التعامل مع الأسطورة البعيدة عن العروبة نسبًا والإسلام عقيـدة ـــ علـى نحـو مـا فعـل فـى « إخنـاتون ونفرتيتـى » و«مأسـاة أوديب» ـ ورسم شخصية فاوست الجديد فى إطـار الآيـة الكريمـة التـى صـدّر بهـا مسرحيته : ﴿ إنما يخشى الله مـن عبـاده العلمـاء إن الله عزيـز غفـور ﴾ (فاطر ٢٨) دون إخلال بأجوائها التاريخيـة وبنيـة هيكلهـا الأساسـية ، فنجـده يـترك « فاوسـت الجديد » فى بيئته الأوروبية المسيحية ، ويحـافظ علـى الخطـوط الرئيسـية فـى البنـاء الفنى لفاوست جوتـه ولم يحـدث مـن التغيـير والحـذف إلا مـا يخـدم تحقيـق أهـداف المضمون الذى يريد أن يصبه فى وعائها الجديد . والحقيقة أن باكثير وجد فى البيئة الأساسية لفاوست جوته ما يتفق مع الفكرة الإسلامية للعلاقة بـين الله والشـيطان ، وبين الإنسان والشيطان ، وأثر ذلك على الصلة بين الله والإنسان .

د. محمد أبو بكر حميد

القاهرة



﴿ إنما يخشى اللَّهَ من عباده العلماءُ ، إن الله عزيز غفور ﴾

صدق الله العظيم

(فاطر ٢٨)

فاوست الجديد

الشخصيات

الشيطان	:	
فاوست	:	عالم طموح يشتغل بالأبحاث
بارسيلز	:	صديقه وشريكه فى أبحاثه العلمية
مرجريت	:	عشيقة فاوست
إيمى	:	عشيقة بارسيلز
واجنر وأولجا	:	خادمان لدى فاوست

الفصل الأول

فى منزل فاوست حجرة مكتب أشبه بالمكتبة تغص فوقها بالكتب من جميع الأحجام ، وتنتشر فى أركانها شتى الأجهزة العلمية المعروفة فى ذلك العصر : من مناظير وأنابيب وغيرها . يسود الحجرة شيء من الفوضى ينبئ بعدم وجود سيدة فى البيت .

الوقت : **عند الأصيل .**

(يرفع الستار عن فاوست معتمدا برأسه على مكتبه ، دافنا وجهه بين يديه ، يئن أنينا خافتا وهو يتمتم) :

فاوست : لا فائدة ، لا جدوى ، لا أمل ، عبث فى عبث ، عذاب فى عذاب، ترى كم بقى لى من العمر ؟ أبى عاش ثمانية وستين عاما . آه كيف احتمل هذه السنين كلها ، وإن يوما واحدًا لثقيل علىّ . لكن كيف ؟ هل أشنق نفسى ؟ هل أشرب السم ؟ هل أرمى بنفسى من حالق ؟ هل أغرق نفسى فى النهر ؟ هل أغمد الخنجر فى صدرى ؟ هل أتكئ على سيف لينفذ من بطنى إلى ظهرى ؟ كل هذه السبل تؤدى إلى الغرض . ولكن أيها أليق بى وأيسر علىّ .. آه أليس من نكد الدنيا على أحدنا إذا ما ضاق بالحياة أن يكون عليه هو أن يختار كيف يموت .

واجنر : (**يدخل**) سيدى .

فاوست : ماذا تريد ؟ ألم أقل لك ألا تزعجنى اليوم بدخولك وخروجك ..

واجنر : إنه بارسيلز يا سيدى .

فاوست : بارسيلز .. أين هو ؟

واجنر : كان يريد أن يدخل فمنعته حتى أستأذن له عليك .

فاوست : دعه يدخل يا واجنر (**يمسح الدمع من عينيه ويصلح ما تشعث من شعره وهيئته**) .

(يخرج واجنر ثم يدخل بارسيلز)

بارسيلز : ما هذا يا فارست ؟ أو قد صرت لا أدخل عندك إلا بإذن ؟

فاوست : اعذره يا صديقى فإنه قليل الفهم .

بارسيلز : زعم لى أنك أمرته بذلك .

فاوست : أجل .. ولكنى لم أقصدك أنت .. خبرنى أين كنت ؟ ..

بارسيلز : تسألنى أين كنت . كنت فى الجنة ، كنا فى الجنة نحن الاثنين .

فاوست : أنت ومن ؟

بارسيلز : أنا وإيمى المحبوبة ، أنا وإيمى اللذيذة .

فاوست : طوال هذه المدة ؟

بارسيلز : ليست طويلة .

فاوست : ثلاثة أيام بلياليها !..

بارسيلز : كأنها ثلاث ساعات ، بل ثلاث دقائق ، بل ثلاث ثوان .

فاوست : أين كنتما ؟.

بارسيلز : قلت لك فى الجنة . ألا تصدقنى ؟ إن الجنة ليست فى السماء يا فاوست ، إنها هنا على الأرض ..

فاوست : (**فى شىء من الضيق**) ألا تريد أن تخبرنى أين كنت ؟

بارسيلز : فى فندق العرائس على الجبل .. لقد اكتشفته لك يا فاوست لتقضى فيه شهر العسل مع حبيبتك ..

فاوست : أتسخر منى يا بارسيلز ؟ (**يحدق فى وجهه**) .

بارسيلز : ما خطبك يا فاوست ، ماذا بك ؟ ..

فاوست : لاشىء .

بارسيلز : أتحاول أن تكاتمنى ؟ إنى أرى الألم فى عينيك وفى صوتك ..

فاوست : امض فى حديثك ، حدثنى عن جنتك .

بارسيلز : بل حدثنى أنت أولا عن حالك ، لقد تركتك وقد أعطيتَ عمها المبلغ الذى أرضاه فماذا حدث ؟ هل رجع فى كلامه ؟

فاوست : هى التى رجعت .

بارسيلز : مرجريت ؟

فاوست : نعم . لما رضى عمها رفضت هى .

بارسيلز : مستحيل .

فاوست : هذا الذى وقع .

بارسيلز : لكنها كانت تحبك .

فاوست : كانت .

بارسيلز : لا يعقل أن يتغير قلبها بهذه السرعة .

فاوست : قد تغير يا بارسيلز .

بارسيلز : لابد لذلك من سبب .

فاوست : لأنى زيفت النقود .

بارسيلز : وما الذى أدراها ؟

فاوست : أنا أخبرتها .

بارسيلز : أنت إذن الملوم .

فاوست : سألتنى كيف هبط علىّ الغنى ، فلم أستطع أن أكذبها .

بارسيلز : لكنا قد اتفقنا على أن لا تزعم للناس أننا اكتشفنا سر تحويل المعادن إلى الذهب .

فاوست : للناس يا بارسيلز لا لمرجريت .

بارسيلز : بل لها هى من باب أولى .

فاوست : كلا لقد تعاهدنا لا أكذب عليها ولا تكذب علىّ .

بارسيلز : إذن لقد كذبت هى عليك .

فاوست : ماذا تقول ؟

بارسيلز : لابد أن هناك سببا آخر .

فاوست : ما عسى أن يكون ؟

بارسيلز : ربما ..

فاوست : ربما ماذا ؟!

بارسيلز : لا أدرى ، ولكن لا يعقل أبدا أن سببا كهذا يمنع امرأة من الزواج بمن تحب .

فاوست : أنت مسىء الظن بالنساء .

بارسيلز : بل أنا أعرفهن على حقيقتهن . إنهن يعشقن المال ، ولا يعنيهن من أى سبيل جاء . ألم تر إلى إيمى كيف كانت تتأبى علىّ إذ كان

جيبى خاويا ، فلما امتلأ بالمال صعدت معى إلى الجبل حيث اختلسنا أياما لا تحسب من العمر .

فاوست : أوقد حددتما موعد الزفاف ؟

بارسيلز : أى زفاف يا فاوست ، لا داعى اليوم للزواج .

فاوست : لا داعى اليوم للزواج ؟

بارسيلز : لن أنال به أكثر مما نلت .

فاوست : ورضيت هى بذلك ؟

بارسيلز : على أمل أن أتزوجها ، ولكنى لن أتزوجها أبدا ..

فاوست : لا حق لك .

بارسيلز : لا أستطيع أن أقتصر عليها بعد ما صار فى أمانىّ أن أتخذ كل ليلة خليلة .

فاوست : أنت امرؤ لا أخلاق لك ، أنت رجل لا مروءة فيك .

بارسيلز : لا أريد أن أكون مثلك فيصيبنى ما أصابك ..

فاوست : أتشمت بى ؟ ..

بارسيلز : معاذ اللّه ، لوددت واللّه لو كان الإخفاق لى والنجاح لك .

فاوست : يا إلهى ! أين عدلك وحكمتك ؟ أريد بها الخير فأشقى ، ويريد بها الشر فينعم .

بارسيلز : كلا لا تكفر ، الأمر أهون من ذلك .

فاوست : ويل للشجىِّ من الخلىِّ .

بارسيلز : دعنى من أمثالك ما دام عمها قد رضى ، فسيزوجها لك راضية

أو مرغمة .

فاوست : لقد تمردت على عمها فلم يبق له عليها سلطان .

بارسيلز : أتزوجت !

فاوست : لا .

بارسيلز : فهى باقية تحت سلطان عمها حتى تتزوج ..

فاوست : لقد ارتكبت خطيئة أكبر من الزواج .

بارسيلز : إذن فقد عشقت غيرك ؟

فاوست : كلا .

بارسيلز : حاش للّه .. هذا غير معقول .

فاوست : ما هو ؟

بارسيلز : أن تفرط فى عرضها من غير عشق .

فاوست : قبحك اللّه ! من قال لك إنها فرطت فى عرضها ؟ ألا يتجه ظنك إلا إلى الفضائح .

بارسيلز : ألم تقل لى إنها ارتكبت خطيئة أكبر من الزواج ؟

فاوست : أعنى الدير يا هذا ؟ الدير .

بارسيلز : أتريد أن تخبرنى أن مرجريت دخلت الدير ؟

فاوست : نعم .

بارسيلز : اعتزمت دخول الدير ، أم دخلت الدير فعلا ؟

فاوست : بل دخلت الدير فعلا .

بارسيلز : عجبا ! كيف وقع ذلك ؟

فاوست : كما يقع أى أمر سخيف فى هذا العالم السخيف .

بارسيلز : الآن أعذرك أن كفرت .

فاوست : وماذا يفيدنى هذا منك ؟ هل يهدينى إلى حيلة أو إلى سبيل ؟

بارسيلز : ألم يبلغك عزمها هذا قبل أن تدخل الدير ؟ ..

فاوست : بل بلغنى ..

بارسيلز : ألم تحاول أن تثنيها عن عزمها ؟ ..

فاوست : حاولت ولكن دون جدوى ..

بارسيلز : وما أعانك عليها أحد من أهلها ؟

فاوست : ما كان يعلم بعزمها أحد غيرى وغير أولجا الخادمة .

بارسيلز : أين لقيتها إذن ؟

فاوست : هنا فى بيتى .

بارسيلز : جاءت تزورك هنا ؟

فاوست : لتودعنى الوداع الأخير .

بارسيلز : ومعها الخادمة ؟

فاوست : بل وحدها .

بارسيلز : وحدها .. الآن وجدت لك الحل ..

فاوست : (**فرحا**) صحيح ؟

بارسيلز : صحيح .

فاوست : كيف ؟

بارسيلز : (**يدرك الوهم الذى وقع فيه ؛ إذ خلط بين الماضى والحاضر** :

فيتمتم فى ارتباك) كيف ؟

فاوست : بحياتك يا صديقى إن كان عندك حل فأسعفنى به ، أسرع .

بارسيلز : تسقيها شرابا .

فاوست : أسقيها شرابا ؟

بارسيلز : حتى تستطيع أن تقضى منها وطرك .

فاوست : (**غاضبا**) ويلك ! أهذا هو الحل الذى عندك !

بارسيلز : نعم .

فاوست : أيها الوغد ، لقد خدعتنى .

بارسيلز : أؤكد لك أنك لو فعلت لعدلت عن دخول الدير ولبقيت لك .

فاوست : لعنة اللّه عليك .. وأين هى الآن ؟ (**يلطمه على خده**) .

بارسيلز : (**يمسح خده**) ما ذنبى أنا يا فاوست ؟ كانت فرصة عظيمة فأضعتها أنت .

فاوست : (**كالنادم على ضربه إياه**) أجل أنا الذى أضعتها بجبنى . سامحنى يا صديقى .

بارسيلز : لا عليك .

فاوست : لا أكتمك يا أخى أن نفسى راودتنى على ذلك .

بارسيلز : صحيح ؟

فاوست : إى واللّه .

بارسيلز : فما الذى منعك ؟

فاوست : هالة القداسة التى عليها .

بارسيلز : إن هى إلا من صنع خيالك ..

فاوست : وثقتها بخلقى ، وحسن ظنها بى .

بارسيلز : ما يدريك لعلك خيبت ظنها .

فاوست : أيها الداعر .

بارسيلز : أنت المسئول ، فلا تلق اللوم على غيرك .

فاوست : أنا ما ألقيت اللوم على أحد .

بارسيلز : ألقيته على اللّه وعلى هذا العالم الذى نعته بالسُّخف .

فاوست : ألا ترى معى أن هذا التقليد فى منتهى السخافة ؟

بارسيلز : الدير ؟

فاوست : نعم .

بارسيلز : السخيف عندى من تقيد بالتقليد السخيف .

فاوست : ماذا تعنى ؟

بارسيلز : كان فى وسعك أن تلغى وجوده لو ألغيت أثره فيك .

فاوست : لو سقيتها مخدرا وانتهكت عرضها ؟

بارسيلز : أى بأس مادمت تنوى أن تتزوجها .

فاوست : بارسيلز ، يكفى ما عندى من الألم والكرب ، فلا تزدنى ..

بارسيلز : إنى أريد أن أخفف عنك ..

فاوست : ساعدنى إذن على اختيار طريقة الخلاص ..

بارسيلز : ماذا تعنى بالخلاص ؟ ..

فاوست : الخلاص واضح لا يحتاج إلى تفسير .

بارسيلز : إياك أن تعنى ..

فاوست : الخلاص من الحياة نعم .

بارسيلز : لا حق لك . ليس فى الدنيا امرأة تستحق أن ينتحر من أجلها رجل .

فاوست : ليس من أجلها فحسب .

بارسيلز : من أجل ماذا أيضًا ؟

فاوست : من أجل كل شىء .

بارسيلز : كل شىء كلمة عامة مبهمة لا تدل على شىء .

فاوست : الحياة لم تعد تستحق أن تعاش .

بارسيلز : ليس من حقك أن تقرر ذلك .

فاوست : من حق من إذن ؟ ..

بارسيلز : من حق الذى خلقها وحده .

فاوست : هل لديك برهان على ما تقول ؟

بارسيلز : نعم .

فاوست : هات .

بارسيلز : إنك لا تقدر أن تخلق نفسك .

فاوست : لكنى أقدر أن أعدم نفسى ، وذلك برهانى ..

بارسيلز : العدم بعد وجود لا يعتبر عدما مطلقا .

فاوست : إذن فلا جناح علىَّ أن أنتقل من وجود سخيف إلى وجود أفضل .

بارسيلز : ما يدريك أنه سيكون أفضل .

فاوست : لا يوجد أسوأ من هذا الوجود ولا أسخف .

بارسيلز : وما برهانك ؟

فاوست : شعورى ..

بارسيلز : هذا برهان خاص بك .

فاوست : والقضية أيضا خاصة بى .

بارسيلز : دعنا من هذا الجدل الفلسفى فإنه لا ينتهى بنا إلى نتيجة .

فاوست : أنت الذى اخترته .

بارسيلز : إن الحياة يا فاوست أوسع مما بينك وبين مرجريت .

فاوست : أعلم ذلك .

بارسيلز : فلم إذن تضع مرجريت فى كفة والحياة فى كفة ؟

فاوست : لأن حبها كان آخر سبب تعلقت به من أسباب الحياة ، وكنت أظنه عزاء كافيا عما سواه ، فإذا هو باطل كأباطيلها الأخرى . فلأى شىء بعدُ أعيش ؟!

بارسيلز : عش للمعرفة .

فاوست : المعرفة . قد علمت يا بارسيلز أننا أنفقنا شبابنا كله فى طلبها وتحصيلها فلم نظفر منها بطائل ، وبقيت الحقائق الكبرى محجوبة عنّا بل زدنا بها جهلا .

بارسيلز : أليس ذلك أحرى أن يثير تعطشك لها ويزيد فى نهمك ..

فاوست : أفلا تسأل يا بارسيلز لماذا نبذتها أنت قبلى وكنت حفيا بها مثلى ؟!

بارسيلز : أنا وجدت فى الحياة منها أخرى أجدى باهتمامى وأولى .

فاوست : لكننى لم أجد فيها شيئا مما وجدت ، فلأى شيىء أعيش ؟ أأعود مرة أخرى إلى حياة الخمر والقمار فأهرب من واقعى وأنسى نفسى ، وأكون كما كنت من قبل ميتا فى صورة حى ، ووحشا فى صورة إنسان ؟!

بارسيلز : ذلك على كل حال خير من أن تقتل نفسك ، عسى أن يقيض اللّه لك بغيا أخرى تحكى لك قصة حياتها فتلمس الوتر الحى من قلبك ، فتعود إلى رشدك واستقامتك من جديد ..

فاوست : هيهات ، لقد تقطعت الأوتار كلها فى قلبى .

بارسيلز : ليتنى ما جئت اليوم إليك .

فاوست : لم يا صديقى ؟ ألا تحب أن ترانى قبل أن أمضى فى رحلة ليس منها مآب . إنى أخرتها عمدا فى انتظارك ..

بارسيلز : لقد صرتُ لا أستطيع أن أتركك ولا أستطيع أن أبقى معك .

فاوست : أنا الذى سأتركك يابارسيلز وأترك الجميع .

بارسيلز : كلا لن أدعك تنتحر أبدا .

فاوست : لو فكرت قليلا لوجدت أن موتى فى مصلحتك ...

بارسيلز : من أجل المال المشترك بيننا ؟.

فاوست : أجل ، سيكون كله لك وحدك .

بارسيلز : تبا لك يا فاوست ، أتظن المال يغنينى عنك ؟

فاوست : وكذلك الآلة التى اخترعناها للتزييف ستكون لك . إذن فلم

لا تعاوننى على الرحيل ؟

بارسيلز : لا أستطيع يا صديقى أن أتصور كيف أعيش من دونك .

فاوست : سوف تنسانى وشيكا حين تعيش مع حبيبتك إيمى فى جنتك ..

بارسيلز : صدقنى يا فاوست ، إن الجنة ستنقل جحيما من بعدك .

فاوست : هكذا يخيل إليك الآن .

بارسيلز : كلا إنها الحقيقة . أتظن يا فاوست أننى كنت أنعم بوصالها لولا علمى أنك موجود على مقربة منى ، وأننى عما قريب سأقص مغامرتى عليك .

فاوست : (متأثرًا) أحقا يا بارسيلز ؟

بارسيلز : صدقنى يا فاوست ، إنى وجدت من اللذة والسعادة حين قصصت عليك مغامرتى اليوم أكثر مما وجدته طوال الأيام الثلاثة التى قضيتها مع إيمى فى الجبل .

فاوست : لكن تذكر يا أخى أننا لما فقدنا فالديز ، خيل إلينا أننا لا نستطيع العيش من بعده ، ومرت الأيام فإذا نحن قد نسيناه ..

بارسيلز : ذلك أننا كنا اثنين بعده أحدنا يعزى الآخر عنه . ثم لا تنس أننا استعنّا على حزننا الأليم بالانكباب على دراسة الطب لنكتشف علاجا للسرطان الذى مات به .

فاوست : يالها من أيام سعيدة !

بارسيلز : لقد كنا نشعر بقسوتها إذ ذاك .

فاوست : كان أمامنا مستقبل حافل بالآمال والأحلام .

بارسيلز : مازال فى وسعنا أن نأمل ونحلم .

فاوست : هيهات ، ما بقى لى غير اليأس والألم والحسرة والندم .

بارسيلز : معذرة ، ائذن لى يا صديقى (**يتفقد الأشياء التى أمام فاوست ويفتح الأدراج كأنه يبحث عن شيء**) .

فاوست : عم تبحث يا بارسيلز ؟

بارسيلز : لا شيء (**يعثر على سكين فيخفيه بين ثيابه**) .

فاوست : أعد السكين فى مكانه .

بارسيلز : أنا فى حاجة إليه .

فاوست : ماذا تصنع به ؟

بارسيلز : أقشر به التفاح .

فاوست : فى الجنة ؟

بارسيلز : عيبها الوحيد يا فاوست أن الناس يقضمون التفاح فيها قضما (**يأخذ لفة حبل غليظ**) .

فاوست : والحبل ؟!

بارسيلز : غير موجود أيضا هناك .

فاوست : ماذا تصنع به ؟

بارسيلز : أربط به الخيل .

فاوست : تربط به الخيل أو تشنق به الشياطين ؟

بارسيلز : (**يضحك**) للغرضين معا .

فاوست : أدركت غرضك ، سأحضر لك كل ما تريد (**يحضر ما يمكن**

استعماله فى الانتحار من الأشياء التى عنده فيلقيها بين يدى بارسيلز) .

بارسيلز : ماذا أصنع بهذه الأشياء ؟

فاوست : خذها يا صديقى من عندى لكى تطمئن .

بارسيلز : أحقا يا فاوست ؟

فاوست : إنما أردت أن أختبرك لأعرف مكانتى عندك .

بارسيلز : إذن فأنت لا تنوى أن ....

فاوست : أنا لست بمجنون .

بارسيلز : الحمد للّه ، لقد أرعبتنى يا رجل .

فاوست : خذها لكى يطمئن قلبك .

بارسيلز : الآن اطمأن قلبى يا فاوست ، الحمد للّه الآن أستطيع أن أتركك وحدك . (**ينهض لينصرف**)

فاوست : إلى أين ؟

بارسيلز : إيمى تنتظرنى لقد تأخرت عليها . إلى اللقاء يا فاوست .

فاوست : إلى اللقاء ..

(**يخرج بارسيلز**) .

فاوست : ما كان ينبغى أن أضيع وقتى ووقته . هأنذا قد رأيته فماذا أخذت منه ؟ الحل السخيف الذى اقترحه والمشاعر الرقيقة التى أبداها لى . لو كان صادقا لعرض علىّ أن يصحبنى فى الرحلة . أواه إن أحبابك ومحبيك لا بأس عندهم أن يعيشوا معك . أما الموت فإنك

تموت وحدك . فالحقيقة إذن أنك تعيش وحدك وتموت وحدك .

(يقرع الجرس فيدخل واجنر) .

واجنر : نعم يا سيدى ؟

فاوست : اسمع . أريد الآن أن أخلو بنفسى ، فإياك ثم إياك أن تدخل أو تدخل أحدا عندى ..

واجنر : حتى ولو كان بارسيلز ؟

فاوست : ولو كان بارسيلز ..

واجنر : ولو قرعت أنت الجرس ؟

فاوست : (**متضايقا**) أوه .. لا تدخل إلا إذا قرعت الجرس . أفهمت ؟

واجنر : نعم يا سيدى .. (**يخرج**) .

فاوست : (**يتمتم**) الآن أنت وحدك . عجل قبل أن يجىء أحد (**ينظر إلى المصباح**) ما خطب المصباح كيف ترتعش ذبالته من غير ريح . عجبا إنى أشعر بوحشة غريبة . رعدة تسرى فى جسدى كله كأنها دبيب ثعبان بارد أملس ، إنها لا ريب هواجس المنتحر .. الدوار الذى يعترى من يقف على حافة الأبدية (**يجيل طرفه فى أرجاء الحجرة**) . عجبا كأننى لست وحدى كأن أحدا يرقبنى دون أن أراه . لا أكاد أسمع أنفاسه . أتراه بارسيلز قد اختبأ هنا ولم يخرج .. هذا محال . لقد رأيته بعينى رأسى يخرج من هذا الباب . تبا له !.. ليته اختار لى السبيل فكفانى مشقة الاختيار . أكل هذا من رهبة الموت ؟ أكل هذا من تعلقنا بالحياة ؟ لا وجود

للرحمن إلا للشيطان . لا شيء غير المادة .. فلا آسف على شيء في الحياة .. الحياة كلها غرور في غرور .. قبض الريح .. باطل الأباطيل .

(**يأخذ قارورة السم**) هأنذا قد اخترت .. أيتها الحياة .. هذا فراق بيني وبينك ...

(يظهر الشيطان في صورة بارسيلز فجأة)

الشيطان : انتظر يا فاوست ...

فاوست : ويلك ، من أين أتيت ؟ كيف دخلت ؟ ماذا جاء بك ؟..

الشيطان : تبا لك ... أكذا تخدعني وتكذب عليّ .

فاوست : خبرني أولا أين كنت وكيف دخلت ؟! .

الشيطان : كنت ذاهبا للقاء إيمى .. إذ خطر لى خاطر أقلقني عليك فجئت مسرعا إليك ..

فاوست : هذا اللعين واجنر كيف سمح لك ، لأرينه الويل . واجنر واجنر ..

واجنر : (**يدخل**) نعم يا سيدى .

فاوست : كيف دخل هذا هنا ؟!

واجنر : (**ينظر إلى بارسيلز فيدهش**) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، كيف دخلت يا سيدى هنا ؟ .

فاوست : أجبنى أنا الذى أسألك ..

واجنر : أنت تسألنى يا سيدى وأنا أسأله ..

فاوست : كيف سمحت له بالدخول ؟ ..

واجنر : أنا لم أسمح يا سيدى لأحد ..

فاوست : فكيف دخل ؟!

واجنر : لا أدرى كيف دخل . هو يا سيدى أدرى بنفسه .

الشيطان : دخلت دون أن تشعر بى .

واجنر : مستحيل ، أنا كنت على الباب . (**يطيل النظر فى بارسيلز**) .

الشيطان : كنت نائما فلم أشأ أن أوقظك .

واجنر : لا تصدقه يا سيدى ؛ فقد كنت يقظا طوال الوقت (**ينظر إلى بارسيلز**)

فاوست : (**متضايقا**) أيها الغبى . اتركنا الآن .

واجنر : سمعا ياسيدى . (**يخرج**)

فاوست : والآن ماذا تريد ؟

الشيطان : أريد أن أساعدك .

فاوست : تساعدنى أم تعطلنى ...

الشيطان : بل أساعدك . لقد جئتك بسمٍّ يميتك على الفور دون أن تشعر بأى ألم .

(**يناوله جاما صغيرا**) .

فاوست : من أين جئت به ؟

الشيطان : من صديق صيدلى حلفنى على الكتاب المقدس ألا أبوح باسمه لأحد .

فاوست : لكنك كنت تنهانى آنفا عن الانتحار .

الشيطان : أجل ، ولكنك لم تقنع بكلامى وأظهرت الاقتناع لتصرفنى ..

فاوست : وكيف عرفت ؟

الشيطان : بالإحساس الداخلى .

فاوست : وعدت لتنقذنى بهذا السم القاتل .

الشيطان : نعم إن كان لابد من الانتحار فهذا السم أرحم . خذ اشرب .

فاوست : (**ينظر إليه فى شىء من الارتياب**) لم لا ننتحر معا ؟ اشرب أنت أولا ..

الشيطان : أنا لا أستطيع أن أنتحر .

فاوست : لا تستطيع !

الشيطان : أقصد لا أريد .

فاوست : ولا أنا ..

الشيطان : فاوست ما خطبك ؟ أتشك فى حسن نيتى ؟..

فاوست : (**يتقهقر عنه كالخائف**) مكانك لا تقترب منى ..

الشيطان : تخاف منى يا فاوست ؟

فاوست : أى نعم . ابق مكانك ..

الشيطان : أى شىء فىّ يخيفك ؟

فاوست : كل شىء .

الشيطان : ما كنت هكذا آنفًا معى ..

فاوست : أنا كنت آنفًا مع صديقى ..

الشيطان : أنا صديقك .

فاوست : كلا أنت عدوى ..

الشيطان : أنا بارسيلز .

فاوست : كلا ، لولا اعتقادى أن الشيطان خرافة ، لقلت إنك الشيطان ..

الشيطان : الشيطان خرافة ، وملكوت اللّه ليس خرافة ؟

فاوست : ملكوت اللّه هو كل هذا الكون الذى تراه .

الشيطان : ألا تؤمن إلا بما تراه أمامك ؟

فاوست : نعم .

الشيطان : فاعلم إذن أننى أنا الشيطان ..

فاوست : (**ينظر إليه فى تطلع وخوف**) الشيطان !..

الشيطان : آمنت الآن ؟

فاوست : قاتلك اللّه يا بارسيلز ، ألا تكف عن مزاحك هذا البارد ...

الشيطان : بارسيلز ، أنا الآن بارسيلز عندك ؟

فاوست : بغير شك .

الشيطان : بغير شك . كيف إذن دخلت ؟ كيف ارتعشت ذبالة المصباح ؟ كيف سرى فى جسدك كله تلك الرعدة كدبيب الثعبان البارد الأملس ؟

فاوست : الخوف هو الذى أوحى لى بكل ذلك ..

الشيطان : وكيف عرفت أنا كل ذلك ؟

فاوست : أوهمتنى أنك خرجت ولم تخرج .

الشيطان : ما أبرعك حين تنكر وجودى .. أترى عندك هذه البراعة كلها

حين تريد أن تنكر وجود اللّه !.

فاوست : بارسيلز ، إن كان ما حدثتنى به عن حبيبتك وجنتك صحيحا ، فطر إلى حبيبتك وجنتك .

الشيطان : هو الآن فى طريقه إلى حبيبته وجنته .

فاوست : بارسيلز .. إن المزاح إذا طال مسُخ وباخ .

الشيطان : ويلك ، إن الشيطان لا يمزح أبدا ..

فاوست : لا تحاول أن تخدعنى ، فإنى أعرف حيلك وألاعيبك ..

الشيطان : لو كنت تعرفها حقا لعرفت فى الحال أننى شيطان ..

فاوست : احلف لى ..

الشيطان : بأى شىء أحلف لك ؟

فاوست : بالكتاب المقدس ..

الشيطان : أأحلف بالكتاب المقدس .. أنى أنا الشيطان ؟

فاوست : لكنك لا تبالى أن تحلف وأنت كاذب . إنى أعرفك .

الشيطان : من قال لك ؟

فاوست : أنت لا تؤمن باللّه ألبتة .

الشيطان : ليتنى حقا لا أومن به . واأسفاه ليس فى الوجود من يؤمن باللّه أشد من إيمانى به ..

فاوست : الآن اعترفت بأنك كاذب ، فالشيطان هو أول الجاحدين الملحدين ..

الشيطان : كنت أظنك من الخاصة لا من العامة ..

فاوست : ماذا تعنى ؟

الشيطان : أنا عند العامة أول الجاحدين الملحدين ، ولكنى عند الخاصة أول المؤمنين الموحدين .

فاوست : بارسيلز ما خطبك اليوم ؟ إنك تقول كلاما عجيبا عجبا .

الشيطان : وأنت فيم إصرارك هذا كله على إنكارى وتكذيبى ؟

فاوست : لا تتماد فى غيك فتزعم غدا أنك إله كما زعمت اليوم أنك شيطان .

الشيطان : الآن وجدت البرهان القاطع الذى يثبت لك صدقى .

فاوست : كيف ؟

الشيطان : من الناس من زعموا أنهم آلهة ، ولكن ليس فيهم من زعم قط أنه شيطان ..

فاوست : لعلك أول واحد من الناس زعم أنه شيطان ..

الشيطان : ما رأيت قبلك مجادلا عنيدا مثلك ..

فاوست : لو كنت شيطانا حقا لغلبتنى ..

الشيطان : فى بعض الأحيان يقوى الإنسان على الشيطان ..

فاوست : كما تفوقت عليه الآن ..

الشيطان : يا هذا إنك بلبلت فكرى .. بحق جهنم ماذا أصنع لك لتؤمن بأننى الشيطان !

فاوست : لا سبيل إلى ذلك .

الشيطان : ألا تعلم أن الشيطان يتشكل كيفما يشاء ؟

فاوست : سمعت بذلك ..

الشيطان : فاقترح الآن فى أى صورة تحب أن ترانى ؟ ..

فاوست : (**ينظر إليه مليا كأنه بدأ يشك فى الأمر كله**) فى صورة كلب

(يختفى الشيطان خلف الحاجز لحظة ثم يظهر فى صورة كلب ينبح) ..

(يعترى فاوست الدهش والوجوم) .

(يدخل واجنر)

واجنر : معذرة سيدى ، من أين دخل هذا الكلب ؟ هل أطرده يا سيدى ؟.

الكلب : (**ينبح محتجا فى غضب**) ها هو . هاو .. هاو .. هاو .

واجنر : (**يتقهقر عنه وينظر حوله فى دهش وخوف**) أين هو يا سيدى ، أين السيد بارسيلز ؟.

فاوست : (**فى وجومه لا يجيب**) .

واجنر : (**ينظر يمنة ويسرة وهو يرتعد فرقا ويتمتم بالأدعية ويرسم الصليب**) أمسخته إلى كلب ؟ حرام يا سيدى . صديقك الحميم ..

(يختفى الكلب فجأة ويظهر مكانه الشيطان وهو يضحك) .

الشيطان : أنا الذى مسخت نفسى . يا واجنر . تحب أن أمسخك ؟..

واجنر : (**فى دهش وخوف**) هيه . أنت إذن شيطان .. (**يخرج هاربا**)

الشيطان : حتى خادمك هذا الأبله عرفنى . آمنت الآن ؟!

فاوست : أظهر لى صورتك الحقيقية ..

الشيطان : لن تطيق رؤيتها يا فاوست ، ستفزعك ..

فاوست : لا عليك من ذلك ..

الشيطان : إنى أخطب ودك يا فاوست وصداقتك ، فلا ينبغى أن أنفرك ..

فاوست : لا صداقة ولا ود بين الإنسان والشيطان ..

الشيطان : الآن آمنت بى فشكرا لك . أنا فى حاجة إليك يا فاوست ..

فاوست : كلا ، لا أريد أن أكون آلةً فى يدك .

الشيطان : وأنت كذلك فى حاجة إلىّ .

فاوست : كلا أنا فى غنى عنك ..

الشيطان : لو كنت فى غنى عنى لما فكرت فى الانتحار .

فاوست : قد عدلت الآن عن الانتحار .

الشيطان : لكن الأسباب التى دعتك إليه باقية كما هى .

فاوست : لا شأن لك .

الشيطان : أستطيع أن أزيلها من أجلك إن شئت .

فاوست : كلا لا تستطيع ..

الشيطان : جرب .

فاوست : هل تستطيع أن تلغى الأديرة كلها ، وتبطل نظام الرهبنة .

الشيطان : لم كل هذا العناء ؟ .. أستطيع أن آتى بها من الدير فتنال منها ماتشاء .

فاوست : مرجريت ؟

الشيطان : نعم .

فاوست : مستحيل .

الشيطان : ليس عندى مستحيل .

فاوست : أنت إله إذن ؟

الشيطان : لا ، ولكن عندى قدرة اللّه ، وفى وسعى أن أمنحك تلك القدرة فأجعلك إلها تقول للشيء كن فيكون .

فاوست : أحضر لى مرجريت الآن .

الشيطان : حالا . تعالى يا مرجريت ..

(تظهر مرجريت وهى فى ثياب الرهبنة ، فينظر إليها فاوست مبهوتا ذاهلا ، ثم يتقدم كلاهما نحو الآخر كأنما ليتعانقا) .

فاوست : مرجريت . **(يفتح لها ذراعيه)** .

مرجريت : فاوست .

الشيطان : **(يجذب فاوست ليحول دون العناق)** . احترم وجودى يا رجل ..

فاوست : اخرج أنت ودعنا وحدنا ..

الشيطان : انتظر **(يومئ إلى مرجريت فتختفى على الفور)** .

فاوست : أنتظر ماذا ؟..

الشيطان : حتى نكتب العقد ..

فاوست : عقد زواجى منها ؟

الشيطان : **(يقهقه ضاحكا)** أى زواج يا رجل ؟ أتريد أن تفقد سر اللذة

الكبرى ؟ ..

فاوست : أى عقد إذن ؟ ..

الشيطان : عقد اتفاق بينك وبينى ..

فاوست : بينى وبينك .!

الشيطان : أوتحسبنى أعطيك مجانا .. لماذا ؟ طمعا فى ثواب الآخرة ؟..

فاوست : اسمع يا هذا .. كلمنى بأدب . أنا لا أقبل سخريتك ولا تهكمك .

الشيطان : سمعا يا دكتور فاوست ، خادمك المطيع .

فاوست : قل لى ما شروطك ؟..

الشيطان : شىء واحد ، كل ما أريده منك هو أن تعطينى روحك ..

فاوست : كيف أعطيك روحى ؟ ..

الشيطان : تطيعنى فى كل ما آمرك به ..

فاوست : ولو أمرتنى بقتل نفسى ؟ ..

الشيطان : ماذا أصنع بانتحارك ؟ ألم تر كيف حلت أنا دون ذلك ؟ أريد أن تطيعنى فى أمور أخرى أهم من الانتحار .

فاوست : ليس من بينها الانتحار ؟

الشيطان : ليس من بينها الانتحار .

فاوست : كل ذلك فى مقابل مرجريت وحدها .

الشيطان : نعم ، أليس ذلك قليلا فى حقها ؟ الدنيا كلها قليل فى حقها عندك . أليس كذلك ؟!

فاوست : كلا ، لست من أولئك المحبين المجانين ..

الشيطان : لا تحاول أن تخدعنى . أنا أعرف ، أنا أعرف ما يجول فى

نفسك ، أنت مستعد أن تخسر العالم كله من أجل قبلة تمنحها لك مرجريت ..

فاوست : ولا ربع العالم ولا خمسه ! أتظن أن هذا الحب الذى يتلهى به الفارغون هو أقصى ما أنشده فى الحياة ؟.

الشيطان : نعم ، تلك هى الحقيقة .

فاوست : كلا ، إن لى مطالب أخرى أهم وأعظم .

الشيطان : ليست أهم ولا أعظم عندك .

فاوست : أتحكم عليها قبل أن تعرف أولا ما هى ؟..

الشيطان : أعرفها يا فاوست ، بل أراها أمامى فى ثنايا مخك .

فاوست : ما هى ؟ ..

الشيطان : المعرفة الشاملة والصحة الكاملة والقوة والشباب والغنى والشهرة ..

فاوست : والحب العارم كيف نسيت الحب العارم ؟

الشيطان : كلا ما نسيته قد ذكرته فى المقدمة ..

فاوست : مع مرجريت .

الشيطان : نعم .

فاوست : كلا وحدها لا تكفى . أريد حسان الدنيا جميعا ..

الشيطان : موافق .

فاوست : وأريد أن أعرف كل شىء فى الكون .

الشيطان : موافق .

فاوست : وأريد أن أرجع إلى سن العشرين ..

الشيطان : موافق ، موافق . كل ما تشتهيه نفسك فأنا موافق .

فاوست : اتفقنا ..

الشيطان : هاك العقد تصفحه . (**يناوله عقدا**) .

فاوست : مكتوب ؟ .. متى كتبته ؟ ..

الشيطان : (**يضحك**) قلت له كن فكان ..

فاوست : (**يتصفحه**) تماما كما اتفقنا عليه .

الشيطان : ما بقى غير التوقيع . (**يجرح إصبع فاوست بإبرة فيسيل منها الدم**) .

فاوست : لم جرحتنى ؟ ..

الشيطان : لتوقع على العقد بدمك .

فاوست : (**يغمس القلم فى دمه فيوقع**) . وأنت ..

الشيطان : وأنا (**يجرح أصابعه ويغمس القلم فى دمه ثم يوقع**) بقى الشهود ..

فاوست : أجل من الذى سيشهد ...

الشيطان : اللّه جل جلاله .

فاوست : اللّه .!

الشيطان : ألا ترضى به شهيدا ...

فاوست : لكنه واحد أحد ...

الشيطان : أقوى من شهادة الألوف . موافق ؟ ..

فاوست : موافق .

الشيطان : اللهم رب العزة ذا الجلال والإكرام .. أنت الشاهد لا شاهد غيرك ، وكفى بك شاهدا ووكيلا .

فاوست : والآن علىّ بمرجريت .. هات مرجريت ..

الشيطان : انتظر يا صديقى .

فاوست : ماذا أنتظر بعد ؟ ..

الشيطان : اعترف أولا أنها أهم مطلب لك فى الحياة ..

فاوست : اعترفت ..

الشيطان : لحظة واحدة **(يُمرر يديه على السرير الرث فإذا بملاءة من الحرير الأبيض وإذا بوسائده مبطنة بالحرير الأحمر ، وعلى شبابيك الحجرة فإذا ستائر من المخمل تتدلى عليها ، وعلى المصباح العادى فإذا هو يسطع بنور أزرق جميل ، وإذا موسيقى تصدح بلحن عاطفى حالم . كل ذلك يتم فى سرعة خارقة) .**

فاوست : **(يقف صامتا ينظر فى دهش ، ثم يتمتم فى صوت خافت)** لكن أين مرجريت ؟

الشيطان : أتمنى لك ليلة سعيدة يا فاوست **(يختفى)**

(تظهر مرجريت فى ثياب الراهبة كما ظهرت من قبل ، إلا أنها مجللة بغلالة بيضاء كغلالة العروس عند زفافها فكانت آيةً فى الروعة) .

فاوست : **(يتقدم نحوها فى بطء كأنه لا يصدق عينيه)** مرجريت !

مرجريت : فاوست .

(يتعانقان فى شوق عارم) .

فاوست : حسبك يا مرجريت ..

مرجريت : فاوست ، ما خطبك ، ماذا بك ألست تريدنى ؟..

فاوست : **(ينظر إليها محدقا)** أنت حقا مرجريت ؟ ..

مرجريت : ألا تعرفنى ..

فاوست : جئت الساعة من الدير ؟ ..

مرجريت : نعم ، ألا ترانى فى ثياب الراهبات ..

فاوست : وما هذه الغلالة البيضاء ؟ ..

مرجريت : أنا الليلة لك عروسك ..

فاوست : بغير أن نعقد زواجنا فى الكنيسة ؟

مرجريت : مالزوم ذلك الآن ؟

فاوست : إذن فلماذا هربت منى إلى الدير ؟ ..

مرجريت : لأكون أحلى فى عينيك وأشهى إلى نفسك حين ترانى فى هذه الثياب المقدسة . انظر ألا تبدو رائعة مثيرة ..

فاوست : جدا .

مرجريت : فى وسعك الآن أن تنتهك عرضى وعرض أهلى وعرض الدير الذى أنتسب إليه .

فاوست : ماذا تقولين ؟ ..

مرجريت : ألست تكره الرهبنة وتمقت الأديرة ..

فاوست : بلى .

مرجريت : فقد أتيح لك الآن أن تنتقم منها فى شخصى فلا تتردد ..

فاوست : (**كأنما يناجى نفسه دون أن يسمع صوته إلا من تسجيل للتعبير عن خواطره**) يا إلهى ماذا أسمع ؟ هل يستطيع الشيطان أن يصنع كل هذا ؟!

مرجريت : ما خطبك يا فاوست ، ألم تعد تحبنى ؟..

فاوست : (**مستمر فى نجواه**) يا إلهى إن كنت سلطته عليها وأنت خالقها ، فلن أكون أرحم بها من خالقها ..

مرجريت : ماذا تخاف ؟ أتخاف من أحد ؟

فاوست : أخاف الله يا مرجريت ..

مرجريت : الله . وأين هو الله ؟

فاوست : (**فى نجواه**) هى فى الدير ولا تخاف .. وأنا خارج الدير

وأخاف . فالدير إذن سجنى أنا لا سجنها هى .

مرجريت : لعلك فى حاجة إلى شراب ينعشك .

(تفرغ له كأسا ، ولنفسها كأسا) خذ . اشرب .

(تشرب ويشرب هو) .

فاوست : **(فى نجواه)** من يدرى لعلى أخاف من وهم كاذب . من يدرى لعل الروح الذى يدعى الشيطان وينسب إليه الشر أن يكون هو روح الوجود والناس عنه غافلون ...

مرجريت : هلم راقصنى .

فاوست : أنا لا أحسن الرقص .

مرجريت : دعنى إذن أرقص لك .

(ترقص مرجريت رقصة مثيرة وهى تخلع ثيابها قطعة بعد قطعة وفاوست تارة يغض بصره عنها ، وتارة ينظر إليها بنهم) .

فاوست : **(فى نجواه)** موجود أم غير موجود .. إن كان موجودا فيغفر ، وإن لم يكن موجودا فليفعل مابدا له .

(يثب إليها فيحتضنها فيندمجان فى عناق عارم) .

الفصل الثانى

بهو فخم فى قصر عظيم تحيط به حديقة غناء . فى الجانب الأيسر من صدر المسرح من وجهة نظر المتفرج يرى الجزء الأسفل من الدرج الموصل إلى الطابق الأعلى . وفى الجانب الأيمن باب يؤدى إلى جناح فاوست الخاص .

وعلى يسار المسرح باب يؤدى إلى مكتب فاوست أو مختبره ، وفى أدنى اليمين باب يؤدى إلى الخارج .

(يرفع الستار فنرى واجنر جالسا على مقعد أمام باب المكتب وأمامه أوجا ، وهما يتحدثان بصوت خافض) .

أوجا : أنت غاضب منى يا واجنر ..

واجنر : قلت لك اتركينى الآن . إنه شدد علىّ اليوم ألا أدع أحدا يشوش عليه .

أوجا : صوتى خفيض لا يمكن للدكتور أن يسمعه وهو فى مختبره .

واجنر : إنه يسمع دبيب النمل .

أوجا : أنت لا تحبنى يا واجنر ..

واجنر : أكنت أتوسط لك عنده ليقبلك خادمة فى القصر ، لو لم أكن أحبك ؟

أوجا : كنت تحبنى قبل أن أجىء إلى القصر ، فلما جئت فتر حبك .

واجنر : (**يأخذ بيدها نحو الدرج**) اصعدى إلى سيدتك مرجريت لعلها

تحتاجك . ودعينى هنا وحدى الآن (**تخرج أوجلا صاعدة فى الدرج**) .

أوجلا : (**يتمتم**) كلهن هكذا . ليس عندهن حياء ولا خجل ، لا فرق بين خادمة وسيدة .

واجنر : (**تعود على أطراف أصابع قدميها**) وجدتها نائمة يا واجنر ..

واجنر : أوه ، قفى على بابها كما أقف أنا على بابه .

أوجلا : إنها ليست بحاجة إلى ذلك .

واجنر : أوه !

أوجلا : أريد أن أعرف ، لماذا أنت غاضب منى منذ أمس ؟!

واجنر : سوف أخبرك فيما بعد .

أوجلا : كلا . لن أدَعك حتى تخبرنى الآن .

واجنر : ماذا كنت تصنعين فى جناحه الخاص صباح أمس ؟

أوجلا : هيه .. إذن فهى الغيرة .

واجنر : أجيبى .

أوجلا : كنت أشترك مع غيرى فى إعداد الحمام له .

واجنر : فى إعداد الحمام له أم فى تدليك جسمه .

أوجلا : ومدلكاته العشرون ماذا يصنعن إذن ؟!

واجنر : ما المانع أن تكونى الواحدة والعشرين .

أوجلا : ما أصغر عقلك ! هل يعقل عندك أنه يلتفت إلى خادمة مثلى .

واجنر : لم لا ؟ ربما يطلبك ليدفع السأم عن نفسه ، لقد جىء له بجميع

ألوان النساء من مختلف بلاد العالم ، فلم يزدد إلا سأما ونهما !!

أولجا : الشيطان هو الذى يغريه بالمزيد .

واجنر : وما يمنع الشيطان أن يغريه بك ذات يوم (**تضحك أولجا**) تضحكين ؟ .. أعجبك الحديث .

أولجا : هذا غير معقول .

واجنر : كل شيء هنا غير معقول ..

(يدخل بارسيلز فينقطعان عن الحديث)

بارسيلز : أولجا ، أين سيدتك ؟ فى حجرتها ؟

أولجا : نائمة لم تستيقظ بعد .

بارسيلز : (**يتلفت إلى واجنر**) والدكتور فاوست فى المختبر ؟

واجنر : نعم ، لا يريد أن يزعجه أحد .

بارسيلز : قال لك إنه لا يريدنى ؟

واجنر : لا ، ولكن .

بارسيلز : أيها الغبى ، لعله يحتاجنى فى بحوثه العلمية .

(يخرج واجنر ثم يعود ومعه فاوست)

(تتنحى أولجا جانبا وينضم إليها واجنر)

فاوست : (**واقفا على الباب**) هنئنى يا بارسيلز ، أوشكت أن أنجح فى الكشف الجديد .

بارسيلز : أى كشف ؟

فاوست : تحويل الصحارى إلى رياض غناء .

بارسيلز : لا توجد فى بلادنا صحراء .

فاوست : توجد فى آسيا وإفريقيا ، سوف يسعد بها ملايين من البشر هناك .

بارسيلز : وتضحى بسعادتك من أجل ذلك ؟

فاوست : إن سعادتى فى ذلك . تعال ساعدنى فأنت تعرف الكيمياء أفضل منى .

بارسيلز : عندك صاحبك يساعدك فى كل شىء . إنك بعت له روحك يا فاوست فخذ منه الثمن كاملا ولا تتنزل له عن شىء .

فاوست : أنا أفضل أن أعتمد على نفسى جهد ما أستطيع .

بارسيلز : فاتركنى إذن ولا تشغلنى عن الاستمتاع بالحياة جهد ما أستطيع .

فاوست : أريد أن أتركك فى لذة البحث ولذة الكشف .

بارسيلز : لو كنت تحبنى حقا لاقترحت على صاحبك أن يكتب معى عقدا كالذى كتبه معك .

فاوست : اسمع نصيحتى يا بارسيلز ، إنك ستشقى بذلك ولن تسعد .

بارسيلز : لا شأن لك . أنا أعرف منك بما يسعدنى ويشقينى .

فاوست : إنك تستمتع الآن بكل ما تريد دون أن تبيع له روحك .

بارسيلز : كلا ، لقد سقمت نفسى من هذا الفتات الذى يتساقط من مائدتك .

فاوست : أتظن يا صديقى أنك سوف تستمتع أكثر لو بعت له روحك ؟

بارسيلز : من غير شك . سوف أريك كيف أطلب منه مالا يخطر على بالك ولا على بال أحد .

فاوست : هذا ما يخيل إليك ، استفد من تجربتى خيرا لـك . متى استطعت أن تستمتع بكل شىء ، لم تستطع أن تستمتع بشىء .

بارسيلز : (ساخرا) ولم لا تقول قياسا على هذا : متى عجزت عن الاستمتاع بشىء فقد استمتعت بكل شىء .

فاوست : هذا تلاعب بالألفاظ ، هذا عكس غير صحيح .

بارسيلز : أنت أنانى لا تحب إلا نفسك .

فاوست : سامحك اللّه يا صديقى . فليكن إذن ما تريد .

بارسيلز : ستكلمه فى أمرى ؟

فاوست : نعم .

بارسيلز : شكرا لك يا أعز صديق .

فاوست : (**يغمض عينيه ويحرك يديه**) لوسيفر .

الشيطان : (**يسمع صوته من مسجل**) فاوست ، لوسيفر بين يديك ، قد عرفت ما طلبه منك صاحبك وهو يسمع صوتى الآن .

فاوست : (**يسمع صوته دون أن يتحرك فمه**) أجبه إذن إلى طلبه .

بارسيلز : كلا ، لا أستطيع .

فاوست : ماذا يمنعك ؟ لن أدعه يعيننى عليك .

الشيطان : هذا رجل فى قبضتى من الآن ، فلا داعى لكتابة عقد معه .

فاوست : لا ضرر من ذلك .

الشيطان : ولا نفع فيه ؟

فاوست : لا بأس أن تجامله من أجلى .

الشيطان : كلا ، لا مجاملة فى هذه الشئون .

فاوست : أسمعت يا بارسيلز ؟

بارسيلز : كل هذا منك . تواطأت معه على حرمانى .

فاوست : إنك لتظلمنى يا بارسيلز .

الشيطان : قل له لا تغضب . إن البابا نفسه والكاردينالات الذين حوله ، لا يحتاجون إلى أى إغواء منى .

فاوست : سمعتها يا بارسيلز .. لست أنت وحدك على هذه الحال .

بارسيلز : كلا ، لن أسكت على ذلك .

فاوست : بارسيلز .. هل لك أن تدخل فتساعدنى فى بحثى .

بارسيلز : لن أساعدك إلا إذا كتب العقد بينى وبين صاحبك .

فاوست : فانصرف عنى إذن ولا تضع وقتى . (**يوصد الباب فى وجهه**)

بارسيلز : لذة البحث ولذة الكشف (**يفرك يديه**) عندى ياصديقى بحث ألـذ من بحثك ، وكشف أشهى من كشفك . (**يتوجه نحو الدرج**) .

أولجا : إلى أين يا سيدى ؟ إنها نائمة .

بارسيلز : وأنا جئت يا أولجا لأوقظها من نومها (**يخرج**) .

الشيطان : أزعجك تهديده يا فاوست ؟ ..

فاوست : أجل . إنه رجل لا خلق له . وأخشى أن يحتال عليها ويخدعها .

الشيطان : لا تخف فقد خانك فيها وفشى الأمر .

فاوست : ورضيت هى ؟

الشيطان : بكل سهولة .. ها هو ذا قد صعد إلى غرفتها .

فاوست : حسبته قد انصرف .

الشيطان : كلا ، كانا متواعدين لقضاء اليوم فى فندق العرائس بالجبل .

فاوست : فندق العرائس بالجبل !

الشيطان : اصعد إليهما الآن فستجدهما متعانقين ..

فاوست : كلا ، سأواصل بحثى خير لى . أيتها الأهواء الباطلة . إليك عنى .

الشيطان : ألا تغار على عرضك يا فاوست ؟

فاوست : من حسن الحظ أنى لم أتزوجها فليست بعرضى .

أولجا : أرأيت هذا الداعر ؟

واجنر : الذنب ذنبها هى التى شجعته .

الشيطان : أتدافع عنه ؟ ألا تشمئز من عملها ؟

أولجا : ما كانت هكذا من قبل . كانت طاهرة كالملاك ..

واجنر : ما كانت الفرصة تتاح لها .. هذا كل ما هناك .

أولجا : أتصدقنى يا واجنر ؟ .. يخيل إلىّ أحيانا أنها فتاة أخرى غير مرجريت التى كنت أعرفها .

واجنر : لا ، ولىَّ الدفاع عنها .

أولجا : ولا تحاول أنت الدفاع عن سيدك ، فهو الذى علمها الانحراف .

واجنر : ماذا فعل سيدى ؟

أولجا : كان يكرهها على ارتداء ثياب الراهبة حين تنام معه .

واجنر : هذا مزاجه هو .

أولجا : مزاج سقيم .

واجنر : يراها أجل فى تلك الثياب . مثيرة .

أوجا : لكن علمها بذلك انتهاك لحرمة الدين ، فصارت مستهترة لا تبالى بشىء .

واجنر : بل الفساد معجون فى طينتها من قبل .

أوجا : صه ، هذه إيمى مُقبلة .

واجنر : ماذا تريد هى الأخرى ؟

(تدخل إيمى)

إيمى : أين هو ؟

واجنر : من ؟

إيمى : بارسيلز الخائن بارسيلز .

واجنر : صه لا ترفعى صوتك . (**يشير إلى الباب**) الدكتور .

إيمى : هو عند الدكتور ؟ (**تهم باقتحام باب المختبر**) .

واجنر : (**يمنعها**) كلا ، لا أحد عند الدكتور . الدكتور يقوم بأبحاثه وحده .

إيمى : إذن ، فهو الآن عندها فوق (**تنظر نحو الدرج**) .

(يظهر بارسيلز ومرجريت نازلين فى الدرج)

بارسيلز : إيمى . ماذا جاء بك هنا ؟

إيمى : أردت أن أرى كيف تخونان صاحب القصر فى داخل قصره .

مرجريت : فهل رأيت الآن واشتفيت ؟

إيمى : أيتها الداعرة .

مرجريت : وأنت ؟ أى شىء أنت ؟

واجنر : أرجوكم ، أخفضوا أصواتكم .

إيمى : أهذا جزاؤه إذ انتشلك من الفقر وأسكنك هذا القصر ؟

بارسيلز : لا حق لك يا إيمى . هذه من أسرة فاندرخت العريقة .

مرجريت : ألم تسمعى بها ؟

إيمى : ما كنت أعلم أنها عريقة فى الـ ....

مرجريت : وأنت .. من أى أسرة أنت ؟

واجنر : أرجوكم ، لا تشوشوا على سيدى الدكتور .

إيمى : يجب أن يعلم هذا الدكتور ..

مرجريت : (**تضحك**) فليعلم ، فإنى لا أبالى .

إيمى : يا إلهى .

مرجريت : ما شأنك أنت ؟.. هل أنت صاحبته .

إيمى : أنا صاحبة هذا الداعر .

مرجريت : وإنى أحلى منك .. فآثرنى عليك .

إيمى : أيها الوغد . ألا تقول كلمة ؟

بارسيلز : ماذا أقول ؟

مرجريت : اتركيه لى وخذى الدكتور فاوست .. قد تركته لك .

إيمى : بارسيلز .. أيرضيك هذا ؟

مرجريت : لم لا ؟ هو الرابح فى هذه الصفقة .

إيمى : أريد جوابه هو لا جوابك .

بارسيلز : يا عزيزتى .. أنا والدكتور فاوست شيء واحد .

إيمى : يا إلهى .. ماذا أسمع ؟

مرجريت : هيا بنا يا حبيبتى إلى عشنا الجميل فى فندق العرائس بالجبل .

(يخرج بارسيلز ومرجريت)

(تتداعى إيمى باكية فتتلقاها أولجا بين ذراعيها وتأخذ فى مواساتها ، ، ويتأثر واجنر فيواسيها)

الشيطان : **(يسمع صوته من داخل المختبر دون أن يسمعه من على المسرح)** فاوست .. فاوست ..

فاوست : **(لا يسمعه على المسرح أيضا)** اسكت . لا تشغلنى عن بحثى .

الشيطان : يكفى ما بحثت اليوم .

فاوست : دعنى أيها الشيطان .

الشيطان : هذه إيمى تنتظرك .. إيمى اللذيذة .. إيمى الشهية ..

فاوست : ما أنا فيه .. أشهى عندى وألذ .

الشيطان : إنك لم ترها و لم تعرفها .

فاوست : لن أجد فيها جديدًا لم أعرفه من قبل ..

الشيطان : أقسم برب العزة .. إن فيها لونا جديدا من الفتنة لم تره فى النساء اللاتى عرفتهن ..

فاوست : كلا ، لن أترك هذه المعادلة حتى أهتدى إلى حلها ..

الشيطان : دعها عنك الآن وعد إليها بعد أن تشفى فؤادك ..

فاوست : ساعدنى على حلها إذن .

الشيطان : فيما بعد ..

فاوست : بل الآن .

الشيطان : وتلقى إيمى ؟

فاوست : نعم .

الشيطان : هأنذا كتبت لك حلها على اللوح .

فاوست : صحيح . كيف لم أهتد أنا إلى ذلك . كان منى على طرف التمام .

(فى خلال ذلك ، كانت إيمى قد مسحت دمعها وأصلحت هيئتها وبدت كأنها صممت على أمر) .

إيمى : استأذن لى يا واجنر على سيدك .

واجنر : ياسيدتى ، إنه لا يريد أن يزعجه أحد .

(يفتح الباب ويظهر فاوست)

فاوست : أنت إيمى ؟

إيمى : نعم يا دكتور .

فاوست : نزيلة فندق العرائس ؟

إيمى : لعنة اللّه على الخائن .

فاوست : وما رأيك لو خنا هذا الخائن ؟

إيمى : ماذا تعنى يا دكتور ؟

فاوست : لقد صدق الذى وصفك .. إن حول شفتيك لنداء جديدا لم أسمعه من قبل .

إيمى : سيدى ، كنت أريد أن أشكو إليك من بارسيلز .

فاوست : لأنه حجبك عنى طوال هذه المدة ؟

إيمى : بل لأنه ارتكب جريمة فى حقى وفى حقك .

فاوست : لعلنا بعد هذا اللقاء نغفر له جريمته .. هلمى (**يأخذ بيدها ناحية الباب الأول**) .

إيمى : إلى أين ؟

فاوست : إلى الجنة . يا هذه وإلى الجحيم .

(**يخرجان**)

واجنر : أولجا .

أولجا : نعم .

واجنر : أمازلت مصرة على عقد الزواج ؟

أولجا : تبا لك ماذا تظننى ؟ من النساء السفيهات .

واجنر : بعد كل هذا الذى رأيناه .

أولجا : إنهم يتساهلون فيما لا يملكون .

واجنر : ونحن ماذا نملك ؟

أولجا : إننا لا نملك شيئا قبل أن نتزوج ، فإذا تزوجنا ملكنا .

واجنر : ماذا يمنعنا أن نتساهل قبل أن نملك .

أولجا : إن التى تتساهل قبل أن تملك ، لا تملك أبدا .

واجنر : وإذا ملكنا ، ألا نخشى أن يسرق منا أو يُختلس ؟

أولجا : أما من ناحيتى فيمكنك أن تطمئن .

واجنر : فى مثل هذا الوسط المائج بالفتن ؟

أولجا : العبرة يا واجنر بالتربية الأولى .

واجنر : ومرجريت سيدتك ، أين ذهبت تربيتها الأولى ؟

أولجا : هذه استحوذ الشيطان عليها منذ انتزعها من قلب الدير .

واجنر : وهل هو بعيد عنا ؟ أليس مقيما بيننا ؟

أولجا : لا تخف . إنه إنما يهتم بالسادة لا الخدم .

واجنر : من قال لـك ؟ لقـد وسـوس لى ذات ليلـة أن أقتحـم عليـك بـاب حجرتك .

أولجا : أيها الخبيث ، إذن فلأغلقن على نفسى كل ليلة قبل النوم .

واجنر : أكنت تتركين الباب مفتوحا ؟

أولجا : كنت أوصده فقط .

واجنر : آه لو كنت أعلم .

أولجا : لقد خوفتنى الآن يا واجنر من هذا الشيطان .

واجنر : آمنت أنه لا يُفرق بين السادة والخدم ؟

أولجا : نعم ، فلنعجل بذهابنا إلى الكنيسة يا واجنر لنأمن فتنه .

واجنر : على شرط .

أولجا : ما هو ؟

واجنر : أن تعاهدينى ألا تدخلى ذلك الجناح الخاص أبدا .

أولجا : عجبا ، تخاف علىّ كل هذا الخوف من سيدك .

واجنر : لأنه باع روحه للشيطان ..

أوجا : كان أحرى أن تخاف عليّ من رجل آخر .

واجنر : ماذا تعنين !

أوجا : هذا الذى اجترأ على سيدتى فأخذها من سيدك .

واجنر : بارسيلز . لأقتلنه إن اجترأ عليك .

أوجا : إنك لا تقدر أن تقتل ذبابة .

(يدخل فاوست متأنقا)

فاوست : واجنر .. ألم آمرك ألا تدخل أحدا عندى ؟

واجنر : أنا ما أدخلت أحدا يا سيدى الدكتور .

فاوست : وهذه المرأة .

واجنر : أنت يا سيدى الذى خرجت إليها .

فاوست : لو لم تأت هنا لما خرجت إليها (**يغيب فى المختبر**)

(تدخل إيمى فى خجل ومذلة) .

إيمى : يدعونى هو ويغرينى ، ثم يعاملنى هذه المعاملة .

واجنر : اعذريه .. هذه عادته كلما اتصل بامرأة .

إيمى : يشتمنى ويتأفف منى .

واجنر : ويشتم نفسه أحيانا .

إيمى : هذا مجنون .

واجنر : الجنون فنون .

إيمى : كل هذا من بارسيلز الخائن الملعون . (**تخرج**)

(يدخل جماعة من الصحفيين)

واجنر : ماذا تريدون ؟

الجماعة : نحن على موعد مع الدكتور فاوست لعقد مؤتمر صحفى .

واجنر : أوه . ماذا أصنع الآن ؟

الجماعة : نبهه أننا قد حضرنا .

واجنر : كلا ، لا أستطيع .

الشيطان : الصحفيين يا فاوست .

فاوست : ليذهبوا إلى الجحيم . لن أقابلهم .

الشيطان : ليس لك أن تعدهم فتخلفهم .

فاوست : لا أذكر أنى وعدتهم .

الشيطان : سل واجنر فهو يذكر .

فاوست : لعنة اللّه عليك وعلى الصحفيين وعلى واجنر .

(يفتح الباب)

الجماعة : نحن الصحفيون يا دكتور فاوست .

فاوست : اعذرونى ، ما عندى وقت .

الجماعة : لكنا حضرنا حسب الموعد .

فاوست : طيب .. ماذا تريدون ؟

الجماعة : هذا ونحن وقوف !

فاوست : حتى لا أطيل عليكم ولا تطيلوا علىّ .

الجماعة : تريد أن نوجه إليك أسئلة جديدة .

فاوست : هاتوا ..

الجماعة : لماذا انقطعت عن عقد المؤتمرات الصحفية منذ وقت طويل ؟

فاوست : لأنى مشغول ببحوثى .

الجماعة : لكن قراءنا يطالبونا بالمزيد من أخبارك .

فاوست : قولوا لهم ليس عندى أخبار جديدة .

الجماعة : لا يمكن أن يصدقوا ذلك .. إنهم يلحون وعلينا أن نقدم لهم ما يطلبون .

فاوست : ولو أضعتم وقتى .. ولو عطلتم بحوثى ؟

الجماعة : يا سيدى ، لن نأخذ من وقتك الكثير . تكفينا منك ساعتان ..

فاوست : ساعتان ؟

الجماعة : أو ساعة واحدة .

فاوست : إنكم لا تعرفون قيمة الوقت عندى وحاجتى إليه .

الجماعة : خذ من أعمارنا ما تشاء يا دكتور فاوست .

فاوست : ذلك مالا سبيل إليه . من نكد الدنيا على الإنسان أنه يستطيع أن ينقص من عمره ولكن لا يستطيع أن يزيد فيه .

الجماعة : كيف ينقص من عمره يا دكتور ؟

فاوست : ينتحر . هيا اتركونى الآن .

الجماعة : لم تجب على أسئلتنا بعد .

فاوست : هاتوا وأوجزوا ..

الجماعة : ألا تنوى فى القريب أن تعرض معجزاتك العلمية فى الميادين ، كما كنت تفعل من قبل ؟

فاوست : لا فى القريب ولا فى البعيد .

الجماعة : لماذا ؟

فاوست : لا وقت عندى لذلك .

الجماعة : بلغنا أن كثيرا من الشركات عرضت عليك عروضا سخية لاستغلال كشوفك العلمية فى الصناعة ، فطردت مندوبيها جميعا .

فاوست : أجل .

الجماعة : لم يا دكتور ؟!

فاوست : لست أبيع علمى لأحد .

الجماعة : فقد فاتك مال كثير يا دكتور .

فاوست : لست بحاجة إلى المال . إنى أستطيع أن أبنى قصرى هذا من الذهب الخالص .

الجماعة : اكتشفت حجر الفلاسفة الذى يحول المعادن إلى الذهب ؟

فاوست : عندى ما هو أعظم من ذلك .

الجماعة : أحقا يا دكتور أنك تستطيع أن تنسف الجبل الكبير فى غمضة عين ؟

فاوست : وأقيم جبلا آخر مكانه .. هيا انصرفوا الآن فقد أضعتم وقتى .

الجماعة : بقى سؤال واحد .

فاوست : نعم .

الجماعة : شاع فى الناس أنك بعت روحك للشيطان ، وأنه هو الذى

يطلعك على هذه العلوم العجيبة .

فاوست : (**يظهر عليه الغضب**) الآن وجب عليّ أن أطردكم .. هذا ما منعنى من عرض كشوفى العلمية للناس .

الجماعة : معذرة يا دكتور .. ما قصدنا أن نغضبك .

فاوست : اخرجوا قبل أن أسلط عليكم ثعبانا كبيرا يبتلعكم واحدا بعد واحد .

(يخرجون هاربين)

(يضحك فاوست قليلا كأنما أعجبه أسلوبه هذا فى التخلص منهم ، ثم ينسحب)

الشيطان : ما أسرع ما صرفتهم .

فاوست : اسمع يا لوسيفر ، اسمع يا إبليس . أراك تحملنى على نقض الاتفاق الذى بينى وبينك .

الشيطان : لمَ يَا فاوست ؟

فاوست : لأنك تخل بما عليك .

الشيطان : فى أى شيء ؟

فاوست : فى كل شيء .

الشيطان : كن منصفا يا رجل .. إلى سن العشرين ؟ ألم أمتعك بألوان النساء من مختلف بلاد العالم ؟ فيما عدا الإسكيمو - لكى أكون دقيقا فى كلامى - لأنك أنت الذى رفضت ؟ ألم أحضر إليك أميرات ألمانيا جميعا ، وملكات أوربا ودوقاتها ، وجراند وقاها وبادوناتها

ومار كيزاتها لتختار كل ليلة منهن من تشاء ؟

فاوست : أوه . النساء النساء .. ما عندك غير النساء ؟.

الشيطان : النساء زهرة الحياة . هل فى الحياة أمتع منهن ؟ ثـم الخمر أحضر إليك أقدم باطية منها فى العالم ، تلك التى وضعت فى قبر فرعـون فى جوف الهرم ليشربها حين يعود فى زعمهم إلى الحياة .

فاوست : ما عندك غير الخمر والنساء ؟

الشيطان : مـاذا تريـد ؟ الفاكهـة ؟ ألسـت أحضـر إليـك فاكهـة الشـتاء فـى الصيف ، وفاكهة الصيف فـى الشـتاء ؟ السـياحة فـى البـلاد ، ألم أطف بك فى جميع أقطار الدنيا ؟ ألم أجعلك تخالط أهل كـل بلـد وتفهم كلامهم ؟.ألم أدخلك حمامات النساء فى كل بلـد لتتقلـب بين أجسادهن دون أن يشعر بك أحد ؟!

فاوست : أجل . كنت دائما تثير شهواتى وتغذيها على حساب عقلى .

الشيطان : أنت الذى طلبت منى ذلك .

فاوست : لأنك وسوست لى بذلك .

الشيطان : يا لك من جاحد ، ألم أحرص على أن أريـك فـى هـذا التطـواف كيف أن الأرض كروية وأنـك إنما بـدأت السـير مـن نقطـة فيهـا لتصل إليها مرة أخرى حين تكمـل الـدورة ؟ ألم أنطلـق بـك فـى الفضاء بين الكواكـب والنجـوم ، فـأريتك أن أرضنـا هـذه تـدور حول الشمس على خلاف ما كان يزعم الجهلة من رجـال الديـن أن الشـمس هـى التـى تـدور حـول الأرض ؟ ألم أسبح بـك فـى

أعماق البحار فأريتك ما بها من العجائب والغرائب ؟!

فاوست : ولكن ذلك كله لم يزدنى بالحقيقة علما ، بل زادنى بها جهلا .

الشيطان : التبعة عليك أنت لا علىّ .

فاوست : كان عليك أن تدلنى على كنوز المعرفة الشاملة الموصلة إلى حقائق الأشياء .

الشيطان : قد يسرت لك من ذلك ما لم يتيسر لأحد . أخذتك إلى كهنة وادى النيل فسمعت صلواتهم وترتيلاتهم ، وإلى حكماء الهند والصين فاستمعت إلى حكمهم ووصاياهم . وإلى فلاسفة الإغريق فشهدت دروسهم ومحاوراتهم ، ورأيت سقراط بين تلاميذه وأفلاطون فى مدرسته وأرسطو وهو يعلم الإسكندر الأكبر .

فاوست : ما وجدت عند هؤلاء إلا الرجم بالظنون والتعلق بأذيال الفروض . وأن كثيرا ما كانوا يعدونه من حقائق العلم قد أصبح خطؤه ظاهرا يعرفه اليوم تلاميذ المدارس .

الشيطان : أنا ما قصرت فى شىء معك . مامن شىء طلبته أو تمنيته إلا أتيتك به ، أو يسرته لك فى لمح البصر .

فاوست : إلا حيث يتعلق الأمر بالبحوث العلمية الصحيحة ، فإنك تتعبنى وتضع العواثير فى طريقى وتشغلنى بالتوافه لتحول بينى وبين ما أريد .

الشيطان : يا جاحد . أتقول هذا القول وعندك ستة وخمسون كشفا علميًّا جديدا لم تعرضها بعد على الناس .

فاوست : أجل لا يعنيك إلا عرضها على الناس فى الميادين العامة .

الشيطان : ما فائدتها إن أبقيتها محبوسة فى أدراجك ؟

فاوست : بل تريد أن تجعلنى كالمهرج أو الحاوى ، أو المشعوذ يبهر الناس فيلتفوا حوله ولا يتركوا له وقتا لمواصلة البحث والكشف .

الشيطان : ما أسوأ ظنونك . إنما أريد أن يطير صوتك فى الآفاق وتتحدث الدنيا كلها بعظمتك ومجدك ومعجزاتك وآياتك .

فاوست : تريد أن تفتن الناس بى وتفتننى بالناس .

الشيطان : بل أريد أن أنفع بك الناس وأرشدهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم .

فاوست : فعلام تضع العراقيل دون هذا الكشف الخطير الذى أرجو به أن أحيل الصحارى إلى غابات ومروج وجنان .

الشيطان : أنا لا أضع العراقيل ، وإنما أتوخى نصيحتك لعلى أقنعك بأن ذلك ليس فى مصلحة الناس كما تظن .

فاوست : لو قلت لى إن الأبيض هو الأسود ، وأن القمر أكبر من النجم ، وأن الشر أنفع من الخير ، وأن الشيطان أفضل من الملك لربما صدقتك . ولكنك لا تستطيع أن تقنعنى بأن الصحارى الجرداء أنفع للناس من الرياض الغناء .

الشيطان : وإذا أثبت لك ذلك بالبرهان المحسوس ؟

فاوست : هيهات ، إلا أن يكون الكون فوضى بغير نظام عام ولا نواميس ثابتة ؟

الشيطان : سوف ينكشف لك فيما بعد أن الكون - وأسفاه - كذلك .

فاوست : كلا كلا .

الشيطان : تلك مسألة أخرى ستدركها فى حينها على كل حال . وهلم معى الآن لأريك البرهان الذى تريد .

فاوست : إلى أين ؟

الشيطان : إلى مناطق إفريقيا الاستوائية . (**يسمع حفيف كحفيف الأجنحة الطائرة**)

أولجا : صه ، ألم تسمع هذا الصوت ؟.

واجنر : كحفيف جناح طائر كبير .

أولجا : أو تظن سيدك طار ؟

واجنر : جائز .

أولجا : ادخل فانظر .

واجنر : كلا ، ربما أجده لم يطر .

أولجا : دعنى أنا أنظر .

واجنر : كلا يا أولجا .. لا تعرضينا لغضبه .

أولجا : ستظل طول عمرك هكذا جبانا تخاف من ظلك . (**تقتحم الباب فتغيب**) .

واجنر : أولجا .

أولجا : (**تصيح فى ذعر**) واجنر . أدركنى يا واجنر . سيدك الدكتور .

واجنر : (**مرتبكا أمام الباب**) هذا الذى كنت أخشاه .

أولجا : (**صوتها**) واجنر . واجنر .

واجنر : هـذه نتيجـة الأصـل ؟ دافـع عـن عرضـك يـا واجـنر . لكنـى لم أتزوجها بعد .

أولجا : واجنر واجنر .

واجنر : ما خطبك يا أولجا .. ماذا حدث ؟!

أولجا : الدكتور .

واجنر : ماذا فعل ؟

أولجا : لم يفعل شيئا .. ساكن لا يتحرك .

واجنر : ماذا تقولين يا قليلة الحياء .

أولجا : تعال حركه لعله يقوم .

واجنر : فاجرة .

أولجا : لماذا تشتمنى ؟ أنا امرأة لا يصح لى أن أمس جسده . أنـت رجـل مثله .

واجنر : (**كأنه يدرك خطأه فيغيب فى المختبر**) . ما خطبك ؟

أولجا : انظر . إنه ساكن كالميت .

واجنر : ويلك ! هلا خرجت إلىّ فأخبرتينى .

أولجا : سمرّنى الخوف فى مكانى فلم أستطع أن أتحرك .

واجنر : هنا جزاؤك إذا عصيت أمرى .

أولجا : ألا تحركه أولا لترى ما الذى به !

واجنر : بل نتركه ونخرج .

أوجا : يالك من عاجز قليل النجدة . ألا يجوز أن صاحبه قتله ثم طار .

واجنر : كلا لا تفعلى . إنـه ليس بميت . إنما جسده وطار بروحه مع صاحبه .

أوجا : يا إلهى ، إن من يراه يظن أنه ميت .

واجنر : هيا بنا نخرج قبل أن يعود الساعة فيرانا هنا .

(يعودان إلى البهو)

الشيطان : كيف رأيت الناس هناك ؟ أليس سكان الصحارى أحسن حالا ، إنهم أصح أجساما وأصفى عقولا وأنشط حركة .

فاوست : لكنهم مجهدون يعض بطونهم الجوع ، ويحرق أكبادهم العطش ، وتأكل أقدامهم الرمضاء ، ويتقلبون بين حر الهجير وقسوة الزمهرير .

الشيطان : ذلك أهون عليهم من التخمة القاتلة والرطوبة العفنة والخضرة العطنة والحميات المستوطنة مما يورث الكسل والترهل والتراخى وبلادة الحس وانحلال العزيمة والانحطاط إلى درك البهيم .

فاوست : لقد عنت لى الآن فكرة جديدة .

الشيطان : ما عساها أن تكون ؟

فاوست : يجب أن نهتدى إلى وسيلة لإصلاح هذه المناطق الاستوائية أيضا ، حتى يبرأ سكانها مما يعانونه فى أجسامهم وعقولهم ويكونوا صالحين لحياة أفضل .

الشيطان : ماذا تقول ؟ إن ذلك محال .

فاوست : ليس على العلم من شيء محال .

الشيطان : إن الجاهل يظن كل شيء ممكنا .

فاوست : بل الجاهل هو الذى يظن الممكن مستحيلا .

الشيطان : البرهان العلمى هو الفيصل فى ذلك .

فاوست : عندى البرهان .

الشيطان : هاته .

فاوست : أنت تعرفه خيرا منى ولكنك تتجاهل .

الشيطان : أنت دائما تسيء بى الظن .

فاوست : لأن عملك يدعو إلى ذلك .

الشيطان : لا تطل الجدل . هات البرهان إن كان عندك .

فاوست : إن كمية الماء الموجودة في الأرض وما حولها من الغلاف الجوى لا تنقص ولا تزيد . وما علينا إلا أن نوزع الماء توزيعا آخر بحيث يسقط على المناطق الاستوائية قدر أقل ، وعلى الصحارى وما حولها قدر أكبر . وبذلك نصلح الحال فى المنطقتين معا فى وقت واحد .

الشيطان : أتريد يا هذا أن تبدل سنن الكون ؟

فاوست : وهل للكون سنن ؟ لقد زعمت آنفا أن الكون فوضى بغير نظام عام ولا نواميس ثابتة .

الشيطان : أعنى تلك السنن التى نشأت من الفوضى .

فاوست : الفوضى تنشأ عنها سنن .

الشيطان : نعم فى دهر الدهارير على تعاقب الأحقاب .

فاوست : أنا على كل حال لا أسعى إلى تبديل ، وإنما أسعى إلى استخدامها وتسخيرها فى تحريك ما أريد .

الشيطان : مرحى مرحى . أنت تريد إذن أن تطاول رب العزة .

فاوست : (**فى سخرية**) بل أريد أن أكون أعظم منه .

الشيطان : أعظم منه ؟

فاوست : أنت خرجت على رب العزة قديما لما افتقدت من عدله وحكمته .

الشيطان : أجل .

فاوست : إذ أمرك بالسجود لآدم وأنت خير منه .

الشيطان : أجل .

فاوست : (**فى سخرية خفية**) فلأكن أنا ذلك الإله العادل الحكيم الذى كنت تنشده فى القديم ، وليكن هذا الإصلاح الذى أقوم لهاتين المنطقتين أول برهان ألوهيتى الحكيمة العادلة .

الشيطان : (**كالمتمتم الهامس**) هذا إنسان يخدعنى ليمكر بى ، فلأخادعه أنا أيضا لأمكر به .

فاوست : ماذا كنت تقول ؟ ..

الشيطان : لا شىء .. كنت أقول لنفسى .. ما أعظم طموح هذا الإنسان !!

فاوست : ألا يعجبك ؟

الشيطان : كيف وأنا أتحرق شوقا إلى ذلك اليوم السعيد ، يوم يكون الإنسان هو إله الكون كله .

فاوست : لكنى لا أراك متحمسا لذلك .

الشيطان : يعجبنى ذكاؤك يا فاوست ، ولكنه يقلقنى أحيانا عليك .

فاوست : كيف ؟

الشيطان : إنك تريد أن تجمع الأبد كله فى لحظة واحدة .

فاوست : قد تحقق لى ذلك ذات مرة .

الشيطان : ماذا تحقق لك .

فاوست : أنى جمعت الأبد كله فى لحظة واحدة .

الشيطان : متى كان ذلك .

فاوست : فى عيد الميلاد عقب تلك الحفلة الساهرة التى جمعت لى فيها حسان أوربا كلها .

الشيطان : عقب حفلة ؟

فاوست : لا أستطيع أن أصفها ، اللهم إلا أنها كانت ومضة خاطفة ووجدتنى وسط حلقة من النور تدور بسرعة هائلة ، وهى تتسع وتتسع وتتسع حتى احتضنت الوجود كله .

الشيطان : وهم من الأوهام .

فاوست : كلا ، إنها الحقيقة الكبرى فلا تحاول أن تشككنى .

الشيطان : هل تستطيع أن تبرهن على ذلك ؟

فاوست : لا ، ولكنى سأسعى لذلك عن طريق العلم .

الشيطان : عن طريق العلم ؟

فاوست : نعم حتى لا يكون الحق ومضة خاطفة ، وحتى يستطيع الناس

جميعا أن يدركوا مثل ما أدركت فى أى مكان وفى أى زمان .

الشيطان : أتدرى معنى ما تقول ؟ إنك تريد أن تجعل الناس كلها آلهة .

فاوست : بل أريد أن أجعلهم كلهم مؤمنين .

الشيطان : فاوست . إلام تحلم بالمحال بعد المحال . ألا تهدأ قليلا . ألا تريح نفسك من هذا العمر الثقيل والجهد المضنى والعناء الفادح ، وهذه متع الدنيا بين يديك والعمر قصير والموت يترصدك فى كل لحظة .

فاوست : دعنى من ذلك فقد شبعت من المتع والملاذ واشمأزت نفسى من الأثداء والبطون والأفخاذ .

الشيطان : سأريك جمالا من أكمل طراز .

فاوست : النتيجة واحدة .. الاشمئزاز .

الشيطان : كلا هذا جمال أسمى وأكمل من كل ما رأيت من قبل ، جمال خالد تغنت به الأجيال منذ تغنى به هوميروس فى إلياذته .

فاوست : هيلين .

الشيطان : أجل .

فاوست : هيلين ذاتها ؟

الشيطان : بلحمها ودمها .

فاوست : (**متمتما**) ياله من شيطان رجيم . يعرف دائما مكامن الضعف منى . لقد كنت أعشقها وأهيم بها فى شبابى الأول .

الشيطان : (**مقاطعا**) لحظة حتى آتيك بها من هيديز (**يختفى**) .

فاوست : (**يتمتم**) فاوست . إلى متى يلعب بك . أعرض عنها إذا جاءت

لتريه أنه لم يبق له مطمع فيك . لكن هذه هيلين التى قامت من أجلها حروب طروادة . كيف أستطيع أن أتقيها إذا برزت لى متجردة ؟ ولماذا أتقيها ، لماذا أفلتها من يدىّ ؟ سأطاوعه هذه المرة ثم أعصيه بعد ذلك إلى الأبد . لكن الحقيقة الكبرى .. ألا تحب أن ترى الحقيقة الكبرى مرة أخرى ؟ ستراها إذا قهرت نفسك وركزت فكرك .. هذه فرصة لا تعوض .

(يغمض عينيه)

الشيطان : **(يعود)** فاوست . استعد يا فاوست لاستقبال فاتنة العالمين . اظهرى الآن ياهيلين .. لا تخافى .. سأحترم الشرط الذى اشترطتيه ، لن يراك هنا أحد غير فاوست وحده .. بوركت يا فاتنة العالمين . فاوست ، افتح عينيك يا فاوست لا تخف ...

فاوست : لن أفتح عينى حتى تقصيها عنى . لا أريدها لا أريدها ...

الشيطان : أنت مجنون . أنت محروم ..

فاوست : **(تبدو فى وجهه مظاهر التصميم ولا يجيب ..)**

الشيطان : تجردى يا هيلين . انظر افتح عينيك إنها متجردة .

فاوست : **(لا يجيب)** .

الشيطان : ارقصى له يا هيلين كما رقصت لباريس يوم وصل بك إلى طروادة ..

(تسمع موسيقى راقصة تتخللها رنة خلاخيل وأساور) .

فاوست : **(يضع أصابعه فى أذنيه لئلا يسمع)** .

الشيطان : انظر يا محروم .. هذا مشهد لم تر الدنيا مثله قط ، ولن ترى الدنيا مثله أبدا . عانقيه ياهيلين ..

فاوست : **(يتجمع فى نفسه كأنه يتوقى ملمسها) .**

الشيطان : قبليه فى فمه .

فاوست : **(يضع يديه على فمه ليتوقى قبلتها ، ثم يتهاوى حتى يتمدد على الأرض وقد فقد وعيه وتخشب جسمه كأنما فقد الحياة) .**

الشيطان : ابتعدى عنه يا هيلين .. هلمى بنا نبتعد عن هذا المكان .

فاوست : **(يتحرك كأنما تدب فيه حياة من جديد ، ثم ينهض وهو يردد فى فرح عظيم ونشوة غامرة)**

اللّه .. اللّه .. اللّه .. قد رأيت نور اللّه .

الفصل الثالث

حجرة استقبال فى قصر فاوست . يظهر جانب من الحجرة فى الجزء الأيمن من المسرح ، ومكتب السكرتارية فى الجزء الأيسر منه ، ويفصل بينهما جدار يتوسطه باب المكتب ، باب فى أقصى اليمين يؤدى إلى الخارج ، وباب فى أقصى اليسار يؤدى إلى سائر أجزاء القصر .

عند رفع الستار يرى بارسيلز وحده جالسا إلى مكتبه وهو مستغرق فى التفكير كأنه يناجى نفسه بصوت مسموع .

بارسيلز : هذا الصعلوك تخطب وده الملوك . بل تخطبه أعظم دول العالم ليكون حاكمها المطلق . مجد لم يتح لأحد فى التاريخ مثله . الرسل تترى ترجوه وتتذلل وهو يأبى ويتدلل ، وأنا القادر على القيام بهذه المهمة خيرًا منه لا يرضى بى الشيطان اللعين الرجيم . حقا إنه لعين رجيم فليسمع أنا لا أبالى . لن يصنع شرا مما صنع . لقد اتهمت فاوست يومئذ بالتواطؤ معه على رفض طلبى . لكننى اليوم واثق أن فاوست برىء لا ذنب له . ولما اقترحت عليه أن يجعلنى سكرتيرا خاصا له لبى طلبى دون تردد وهو ليس بحاجة إلى سكرتير .

ما كان خيرا منى أيام التحصيل . كنت أشرح له ما استغلق عليه فى الفيزياء ، والكيمياء . إلا أنه أخذ الدكتوراه فى العلوم . أنا

الذى ساعدته فى تحضير أطر وجند . ولو شئت أنا لأخذت أكثر من دكتوراه واحدة . ثم يختاره هذا الشيطان الرجيم من دونى . أين أنت يا رحمان ؟ لماذا لم تخترنى إذ نبذنى الشيطان عدوك . الآن ، إيمانى بك قليل . لَمَ لم تعطنى من الإيمان ما أعطيته لفاوست ؟ إنى لأحسده على إيمانه بك . ويل له ! أيريد أن يستولى على الدنيا والآخرة معا ولا يترك لنا شيئا ؟ أواه .. كلاهما يحب فاوست ويفضله على اللّه والشيطان !!

(يدخل الحاجب من باب المكتب)

الشيطان : **(صوته)** بارسيلز . بارسيلز .

(يذعر بارسيلز ثم يتلفت حوله فلا يجد أحدا فتعروه الحيرة والخوف) .

أضحكت علىّ يا بارسيلز .

بارسيلز : من تكون ؟

الشيطان : أنا الذى كنت ترجونى أن أكتب لك عقدا كعقد فاوست .

بارسيلز : مولاى لوسيفر . مولاى إبليس .

الشيطان : الشيطان اللعين الرجيم .

بارسيلز : اغفر لى يا مولاى ، فما قصدت قط أن ألعنك .

الشيطان : لاعليك . لقد أصبح هذا لقبى ولا أغضب منه .

بارسيلز : أنت إذن غير ساخط علىّ والحمد للّه .

الشيطان : الحمد لمن ؟

بارسيلز : معذرة . الحمد لك ..

الشيطان : (**فى لهجة ساخرة**) الحمد لك . الحمد لإبليس ، الحمد للوسيفر . كل هذا كلام غير منسجم . لا معنى له . قل الحمد لله .

بارسيلز : الحمد لله .

الشيطان : لا تنافقنى يا بارسيلز . أنا لا أحب النفاق .

بارسيلز : إنما أردت يامولاى تقديسك .

الشيطان : التقديس فى غير محله تدنيس . خبرنى يابارسيلز أحقا تريد قتل صاحبك ؟

بارسيلز : يا ويلى وقد سمعت ذلك ؟ كلا يامولاى إنما أردت أن أحصل على المال فقط .

الشيطان : المائة مليون مارك .

بارسيلز : نعم .

الشيطان : لن تصل إلى المال إلا بقتل فاوست لأنه لن يوافق أبدا على الانضمام إلى أى من الدولتين وأنت تعلم ذلك .

بارسيلز : كلا لست أعلم يا مولاى ..

الشيطان : لا تحاول أن تكذبنى فأنا الذى ألهمتك هذه الفكرة .

بارسيلز : أنت ؟.. الآن فهمت كيف سطعت فى ذهنى مثل الشهاب الثاقب .

الشيطان : لكن التنفيذ سيكون من عملك وحدك ، وسينسب فضله إليك

وحدك .

بارسيلز : أنت إذن تريد أن تتخلص منه .

الشيطان : ليس الآن ، فيما بعد .. حين لا يبقى لنا فيه أى أمل .

بارسيلز : فى إقناعه بالانضمام إلى إحدى الدولتين .

الشيطان : وفى إقلاعه عن اللعبة الخطيرة التى يلعبها .

بارسيلز : خبرنى يا مولاى .. ما غايتك من جعله حاكما على إحدى الدولتين ؟

الشيطان : ليزودها بمخترعاته الحربية فتستسلم له الدولة الأخرى فيحكم العالم كله ، ويدعو الناس إلى عبادته فيعبده الجميع ..

بارسيلز : وما حظك يا مولاى من ذلك ؟

الشيطان : كل من يعبد غير اللّه فهو يعبدنى ، وكل من لا يعبد اللّه فهو يعبدنى .

بارسيلز : ألا ترى أيسر عليك من ذلك كله أن تجعلنى أنا مكان فاوست ، فأحقق لك كل ما تريد بغير عناء .

الشيطان : انتظر حتى يجىء دورك .

بارسيلز : ومتى يجىء دورى ؟

الشيطان : حتى تكون جديرا بذلك .

بارسيلز : ومتى أكون جديرا بذلك ؟

الشيطان : إذا استطعت أن تثنى فاوست عن الهدف الذى يرمى إليه .

بارسيلز : لست أدرى كيف أنجح فيما لم تنجح أنت فيه .

الشيطان : هو لا يعتبرك عدوا مثلى لأنك إنسان مثله .

بارسيلز : لكنك تملك من وسائل الإقناع مالا أملك .

الشيطان : القدرة التى عندى تضاعف حذره منى وتحديه لى وتأبيه علىّ .

بارسيلز : لكنى كثيرا ما حاولت ذلك من قبل فلم أفز بطائل . ولكن بغير طائل .

الشيطان : هو اليوم فى أزمة طاحنة من أزمات اليأس .

بارسيلز : كيف ؟

الشيطان : وجد نفسه فى طريق مسدود .

بارسيلز : ولم يستعن بك ؟

الشيطان : استعان ، ولكنى كنت أعقد الأمور عليه وأسير به فى متاهات مضلة .

بارسيلز : وهو لا يعلم .

الشيطان : وأنى له أن يعلم ؟ هيا ادخل الآن عليه .

بارسيلز : أخشى أن يقذفنى بمخبار من مخابيره كما فعل ذات يوم .

الشيطان : كلا . إنه الآن فى حاجة إلى قلب يحنو عليه فيُسِّر إليه بهمسة . فانتهز هذه الفرصة .

بارسيلز : وتعيننى ؟

الشيطان : سأعينك وألهمك . صه ، ها هو ذا آت إليك ..

(يدخل فاوست وهو مهموم)

فاوست : ماذا تصنع هنا وحدك يا بارسيلز ؟

بارسيلز : فى إمكانك إذا توليت السلطة فى إحداهما أن توجه سياستك كما تحب ..

فاوست : هيهات .. رأس الأفعى لا يفكر إلا تفكير الأفعى .

بارسيلز : إنى أراك اليوم مهموما يا فاوست .

فاوست : أجل ، إنى اليوم أسيف حزين .

بارسيلز : ماذا يحزنك ؟

فاوست : هذا الوجود .

بارسيلز : ما خطبه .

فاوست : لا تستطيع أن تؤمن به ولا تستطيع أن تكفر به . إن آمنت أعوزك اليقين وإن كفرت أعوزك اليأس .

بارسيلز : هذه الملايين من البشر تعيش ، ففى وسعك ما وسعهم .

فاوست : لا يغرنك ما ترى من ظاهرهم ، فالحقيقة أنهم يعيشون فى قلق عظيم .

بارسيلز : لكنهم يستمتعون بالحياة ويبتهجون ويلعبون ويمرحون .

فاوست : كالمحكوم عليه بالإعدام حين يأكل ويشرب ويلهو ويطرب .

بارسيلز : كلا إنهم لا يقضون أيامهم فى سجن ضيق مثلك .

فاوست : هذا الذى تسميه سجنا هو المكان الوحيد الذى يمكن أن أجد فيه سبيل الانطلاق فهل وجدت يا بارسيلز ما جئت أشكو همى وحزنى إليك ؟..

بارسيلز : أنت تطلب المحال يا فاوست .

فاوست : كيف يكون محالا وقد رأيته رأى العين .

بارسيلز : ألا يجوز أن يكون ما رأيته وهما فى وهم ؟

فاوست : كلا ، إنى أشك فى نفسى ولا أشك فيما رأيت .

بارسيلز : فاكتف إذن بما رأيت ، ودع ما لا سبيل إليه .

فاوست : لن يهدأ لى بال حتى يكون فى مستطاع كل إنسان أن يرى الحقيقة الكبرى فى كل حين .

بارسيلز : وما شأنك بالناس لعلهم لا يريدون أن يروها ..

فاوست : عليهم أن يروها ليعرفوا الغاية من وجودهم .

بارسيلز : لعلهم لا يريدون أن يعرفوا الغاية من وجودهم .

فاوست : بلى ، فى قلب كل إنسان حنين إلى معرفة ذلك .

بارسيلز : فهل عرفت أنت الغاية من وجودهم ؟

فاوست : نعم .

بارسيلز : ماهى ؟

فاوست : أن أعرف اللّه وأحبه وأعبده .

بارسيلز : فماذا تريد بعد ؟.

فاوست : أن أعرفه عن طريق العلم ، ليتسنى للناس جميعا أن يعرفوه فيعيشوا فى حب وسلام .

بارسيلز : لا تخادع نفسك يا فاوست .. أنت تعلم أن لا حب ولا سلام فى هذا العالم .

فاوست : إن لم يكونا موجودين فعلينا أن نوجد ما فيه .

بارسيلز : تذكر أنك لم تستطع أن تجد قلبا واحدا يحب حتى مرجريت .

فاوست : كلا ، لا تذكر لى تلك الخائنة .

بارسيلز : يجب أن تذكرها دائما حتى لا تخدعك المظاهر . هل كان يخطر ببالك قط إذ كنت تعبدها وتقدسها أن لها عشيقا من جيرانها ، وأنها ما لجأت إلى الدير إلا لتستر فضيحتها معه ؟

فاوست : فضيحتها معه ؟

بارسيلز : أكنت تعرف حقيقتها لو لم تحضر إليك ؟ أما كنت تعدها قديسة لو أنها بقيت فى الدير حتى ماتت . فانظر يا صديقى ما حال القديسات . أو بعد هذا تؤمن بوجود الحب فى العالم ؟

فاوست : كفى . كفى .

بارسيلز : ومن أجل هذا العالم المنحط تضحى بنفسك ووقتك وشبابك ؟

فاوست : هذه أشياء لا تدوم ، فإن لم أقضها فيها ضاعت هباء منثورا .

بارسيلز : اقضها فى الاستمتاع بالحياة . وملذات الحياة .

فاوست : استمتع أنت كما تشاء ، ودعنى وما اخترت لنفسى .

بارسيلز : فيما مضى قبل أن تكون عندك هذه القدرة الهائلة الخارقة كان معقولا أن تشغل نفسك بالبحوث والكشوف . أما الآن فجنون أن تعرض عن المتع والملذات المتاحة لك بغير حدود ، وتحبس نفسك بين أربعة جدران لاكتشاف أسرار لا طائل تحتها .

فاوست : بل جنون الجنون عندى اليوم وقد قوى جناحى على الطيران واتسع الأفق أمامى إلى غير حدود ، أن أحبس نفسى فى ملذات

جسدية لا طائل تحتها دون الانطلاق فى آفاق الفكر المترامية .

بارسيلز : قد تكون على حق يا أخى لو لم تجد نفسك فى طريق مسدود .

فاوست : من قال لك ؟

بارسيلز : هذا واضح من التباث خطوتك وانكسار نظرتك .

فاوست : ليس فى الوجود طريق مسدود .. لأجدن لى منه مخرجا لا محالة .

بارسيلز : لم لا تستعين بصاحبك ؟ أليس بينك وبينه عقد مكتوب ؟

فاوست : أصبح لا يعجبنى بل يعوقنى . لقد خشى من نجاحى فى هذا الكشف الخطير فصار يغللنى ويضع العوائق فى طريقى ..

بارسيلز : لم لا تطالبه بحقك عليه ؟

فاوست : ما الفائدة ؟ لقد صار العون الذى يأتينى منه أقل من العناء الذى أتحمله من المطالبة حتى لقد هممت أن أستغنى عنه وأمضى فى طريقى وحدى .

بارسيلز : أو تظن أن فى وسعك بلوغ تلك الغاية الكبرى ؟

فاوست : نعم ، لو امتد بى العمر إلى ما شاء اللّه ، ولكن العمر — وا أسفاه قصير .

بارسيلز : لاذنب للشيطان فى ذلك .

فاوست : كان فى وسعه أن يختصر لى الطريق ولكنه لا يفعل ، بل يسلك بى الطرق المضللة .

بارسيلز : لا غرو ، فالشيطان عدو الإنسان كما يقولون . ولكن ما قولك فى الرحمن عز وجل ؟ أليس فى قدرته لو أراد أن يكشف لك هذا

السر العلمى فى لمحة خاطفة .

فاوست : بلى . لا ريب فى ذلك .

بارسيلز : كما كشف لك وجهه فى لمحة خاطفة .

فاوست : أجل .

بارسيلز : فلماذا لم يفعل ؟ لماذا تركك تحت رحمة هذا الشيطان الرجيم يلعب بك كيف يشاء ، ويضللك عن السبيل وهو يزعم أنه يهديك .

فاوست : أجل أجل .

بارسيلز : فعلام تضيع عمرك وراء أمر لا يأبه له أحد من المخلوقين ، ولا يبالى به حتى الخالق الذى تريد أن تهدى المخلوقين إليه وتدلهم عليه .

فاوست : (**صائحا**) كفى ، أنت الشيطان بعينه .. لا غرو فقد تمثل لى أول ما تمثل فى صورتك ..

بارسيلز : كلا يا فاوست . أنا بارسيلز صديقك .

فاوست : بلسانه نطقت وعما فى نفسه أعربت .

بارسيلز : لك أن تتحدى الشيطان كما تشاء بل عليك أن تتحداه للرهان الذى بينك وبينه . ولكنى إنسان مثلك فعلام تتحدانى ؟

فاوست : ماذا تريد منى أن أفعل ؟.

بارسيلز : أطعنى هذه الليلة فقط وأنا أمسح الهموم عنك وأجعلك كأنما ولدت من جديد .

فاوست : أى شىء عندك لى ؟ هل عندك غير القمار والخمر والنساء ؟

بارسيلز : عندى لك هيلين أجمل نساء العالمين .

فاوست : هذه كانت عندى .

بارسيلز : لكنك لم تستمتع بها فكأنها ما كانت عندك .

فاوست : من قال لك ؟ لقد استمتعت بها بعد ذلك ، واستمتعت كذلك بأترابها : سميراميس ، وكليوباترا ، والشاعرة سافو .

بارسيلز : لكنك لم تخبرنى .

فاوست : كنتَ وقتئذ مع مرجريت الخائنة فى فندق العرائس بالجبل .

بارسيلز : لا تأس عليها يا فاوست ، فإنها اليوم لا تختلف عن أى بغى .

فاوست : بعد ذلك الحب الطاهر وبعد دخول الدير ؟

بارسيلز : أجل ، بعد ذلك كله .

فاوست : لا أسف عليها ، ولكن الأسف على هذا الوجود .

بارسيلز : ألم أقل لك إن الحب لا وجود له فى هذا العالم .

فاوست : عبث كله إذن وضياع .

بارسيلز : هون عليك لا تبتئس . حدثنى عن الشاعرة سافو ماذا أخطرها ببالك . ما أحسبها فى مستوى الأخريات ..

فاوست : كنت أحفظ أشعارها الغرامية فاشتهيت أن أضمها بين ذراعىّ .

بارسيلز : فكيف وجدتها ؟ ..

فاوست : لا فرق بينها وبين أى راعية من قبرص .

بارسيلز : وكيف وجدت الأخريات ؟ ..

فاوست : لا فرق بينهن وبين فلاحات مصر والعراق .

بارسيلز : إنك إذن لم تر منهن شيئا . أين الهالات التى لهن ؟

فاوست : الهالات تذوب عند الملامسة ، فلا يبقى منها شىء .

بارسيلز : آه ليتنى كنت مكانك .

فاوست : ما كنت لتكون أسعد حظا منى .

بارسيلز : إذن لتشممت من أردانهن عبير التاريخ ، ولترشفت من شفاههن الرحيق المعتق فى جامات الخلود .

فاوست : قد كنت أحلم بكل هذا حين طلبت وصالهن . وكلما خاب ظنى فى إحداهن عللت نفسى بالأخرى حتى أتيت عليهن جميعا ، فإذا هن سواء وإذا أنا أتحسر على الوقت الذى ضاع منى فى غير بحث تسكرنى نشوته ، أو كشف تذهلنى روعته .

بارسيلز : أنت إذن لا تريد أن تطلبهن مرة أخرى .

فاوست : العمر قصير لا محل فيه لتكرار التجربة أكثر من مرة واحدة .

بارسيلز : انتظر . قد وجدتها . عندى لك عرائس لن يحلم بهن إنسان من قبل .

فاوست : عرائس نساء ، لا شىء غير النساء ؟

بارسيلز : من غير طينة هذا البشر .

فاوست : ماذا تعنى ؟

بارسيلز : الربات الفاتنات . آلهات الجمال . عشيقات الآلهة .

فاوست : افروديت .

بارسيلز : وفينوس .

فاوست : وايلان .

بارسيلز : وعشتروت .

فاوست : أجل ، لا أريد أن أموت قبل أن أراهن وأعرفهن ..

بارسيلز : على أن نشترط عليه .

فاوست : على من ؟

بارسيلز : على صاحبك أن يكون لى نصيب فيهن ..

فاوست : أنت تعرف موقفه منى .

الشيطان : هيا بنا إلى بهو الاستقبال لنستقبل طلعات الجمال ..

(تصدح موسيقى بابلية)

الشيطان : إيلات ارقصى ، إيلات يا إلهة بابل .

فاوست : (**يتمتم**) يا إلهى ما أروعها ..

بارسيلز : وما أشهاها .

الشيطان : روزيت ارقصى الآن يا روزيت (**تصدح موسيقى إغريقية**)

فاوست : الحق الجمال عند الإغريق .

بارسيلز : هذه أشهى وأعذب .

الشيطان : عشتروت .. ارقصى الآن ياعشتروت ...

بارسيلز : رائعة مثيرة .

فاوست : هذه بعودة الفينيقيين ..

بارسيلز : آه يا فاوست لو ...

فاوست : صه .

الشيطان : الآن جاء دورك يا فينوس (**تصدح موسيقى رومانية**)

بارسيلز : فاوست ، أدركني يا فاوست .

فاوست : صه ، انظر وأنت صامت ..

الشيطان : أيتها الربات ، ارقصن الآن جميعا كما رقصتن فرادى ...

(تصدح موسيقى ، جاموم)

بارسيلز : ما هذا الحسن كله ، ما هـذه الروعـة ، إن عينـى لتحـار علـى أى واحدة منهن تقع .

فاوست : صه . انظر يا بارسيلز . إن مرجريت معهن !

بارسيلز : دعنا منها ماذا نصنع بها ؟ ماذا نصنع بهـا وعندنـا هـؤلاء الربـات الفاتنات ؟!

فاوست : سأذهب إليها الآن وأسألها ما خطبها ..

(الموسيقى تنقطع إلى الخلفية)

مرجريت : فاوست .

فاوست : ماذا جاء بك الليلة ؟ هلا بقيت هناك فى حاناتك ومواخيرك ؟

مرجريت : أنت مخطئ يا فاوست .. أنا لست التى تعنيها .. أنـا جئـت إليـك من الدير .

فاوست : من الدير أم من ماخور ؟

مرجريت : من الدير لأنقذك وأنصحك .

فاوست : هلا وعظت رفاقك السكارى والمخمورين ..

مرجريت : أنا مرجريت الحقيقية يا فاوست ، جئت لأنقذك من قبضة الشيطان .

فاوست : من قبضة الشيطان ؟!

مرجريت : نعم ، ألا تصدقنى ؟ أقسم لك يا فاوست .

فاوست : حسنا .. هيا بنا إذن إلى المخدع .

مرجريت : (**مندهشة**) إلى المخدع !

فاوست : بعيدا عن هذا الجو الصاخب .

مرجريت : لكن يا فاوست ..

فاوست : لكى تنقذينى من قبضة الشيطان . هلمى . هاتى يدك (**يمضيان إلى المخدع**)

بارسيلز : لك الخيبة يا فاوست ، تترك إلاهات الجمال لتخلو بمرجريت ؟..
(**تستمر الموسيقى والرقص برهة حتى يقطعهما صوت فاوست وبعد ذلك يخرج ثائرا من مخدعه**) .

فاوست : (**صائحا بأعلى صوته**) لعنة اللّه عليك يا شيطان .. لقد خدعتنى . خدعتنى . خدعتنى فى كل شىء .. حتى فى مرجريت أيتها الربات الراقصات ، اغربن عن عينى ..

بارسيلز : كلا يا فاوست دعهن يرقصن قليلا بعد . ياللخسارة لقد اختفين ..

فاوست : ياللعار ! يا للفضيحة ! لقد ارتكبت جريمة لا تعدلها جريمة .. أولجا .

أولجا : نعم يا سيدى ..

فاوست : ادخلى عندها يا أولجا .. ادخلى عند سيدتك ..

أولجا : سمعا وطاعة يا سيدى ..

بارسيلز : ما خطبك يا فاوست ؟ ماذا جرى لو أراهن بمجرد الرؤية . أنا صديقك وصاحب الاقتراح ، لا ينبغى أن أحرم من تلك النعمة ..

فاوست : مجرد الرؤية ..

بارسيلز : أو أكثر قليلا .

فاوست : حدد مطلبك .

بارسيلز : مطلبى ؟ إن كنت تسأل عن مطلبى فلن يعنينى إلا ..

الشيطان : (**صوته**) مجرد الرؤية ..

فاوست : أسمعت ؟ ..

الشيطان : لا شيء غير الرؤية .

بارسيلز : فقط يا مولاى ..

الشيطان : فقط ؟

بارسيلز : دعنى أشم عبيرهن كذلك . العبير فقط يا مولاى ولو من بعيد . أرجوك أتوسل إليك .

الشيطان : وتشم العبير من بعيد ..

بارسيلز : (**فرحا**) فاوست .. أبشر يا فاوست .. ستصير اليوم من الآلهة .

الشيطان : هيا بنا إلى بهو الاستقبال لنستقبل آلهات الجمال ..

فاوست : سقيتها مخدرا فانتهكت عرضها .

بارسيلز : أى انتهاك وأى عرض ؟ وهل بقى لهذه عرض ؟

فاوست : أنت تعنى مرجريت المزيفة التى كانت عندنا ، وهذه مرجريت الحقيقية التى كانت فى الدير .

بارسيلز : تلك أيضا كانت فى الدير .

فاوست : كلا ما كانت فى الدير ، كانت فى الماخور فجاء بها الشيطان وأوهمنى أنها هى .

بارسيلز : وكيف عرفت أن هذه غير تلك ؟

فاوست : هذه - ياللعار - عذراء لم تمس ..

بارسيلز : لعله أعادها عذراء ليزيد فى متعتك ..

فاوست : أتتكلم بلسانه يا بارسيلز ؟

بارسيلز : معاذ اللّه ، ولكن الذى يقدر أن يجىء بهيلين وكليوبترا وبهؤلاء .. الربات . هل يعجز أن يعيد البكارة إلى مرجريت ؟

فاوست : هذه الأشباح كلها أوهام فى أوهام .

بارسيلز : فالبكارة التى وجدتها ماذا يمنع أن تكون وهما فى وهم .

فاوست : ماذا تقول ؟

بارسيلز : إنها عذراء . وليست بعذراء ..

(تدخل مرجريت المزيفة من باب الخروج وهى سكرى تترنح وفى زى خليع) .

فاوست : الحمد للّه .. هذه هى البينة .. **(ينقض عليها فيعصرها ويهزها بقوة)**

مرجريت : ماذا تريد منى ؟

فاوست : أخبرينى من أنت ؟

مرجريت : أنا مرجريت ..

فاوست : (**يمسك حلقها بين يديه**) قولى الحقيقة وإلا أخمدت أنفاسك ..

مرجريت : أرسلنى . سأقول لك كل شىء . أنا من البغايا واسمى جرترود . لقينى بارسيلز هذا فألبسنى زى الراهبة .

بارسيلز : كلا كلا ، لا تصدقها يا فاوست .. إنها تكذب ..

فاوست : اسكت .. دعها تتم حديثها . هيه ثم ماذا ؟

مرجريت : ثم دعانى لأقيم معك فى قصرك على أنى مرجريت حبيبتك التى لحقت بالدير .

فاوست : (**يترك جرترود وينقض على بارسيلز**) أيها الصديق الخائن . أنت الذى تستحق الموت ..

بارسيلز : صدقنى .. أنا لم أرها إلا هنا عندك ..

فاوست : كلا أنت خائن وكاذب .

الشيطان : (**لا يسمعه غير فاوست وبارسيلز**) انتظر يا فاوست .. بارسيلز لاذنب له ، أنا تمثلت فى صورته .

بارسيلز : حالا يا فاوست (**يأخذ بيد جرترود فيخرجان**)

فاوست : والآن أيها الشيطان اللعين .. آه لو أستطيع أن أطبق يدى على عنقك .

(يرتعد واجنر فيتوارى من الخوف وهو يرسم الصليب ويتمتم)

الشيطان : رويدك يا فاوست .. دعنا نتحاور بهدوء .

فاوست : لقد خسرت الصفقة .

الشيطان : كلا ما خسرتها .

فاوست : نقضت العهد الذى بينى وبينك ..

الشيطان : كلا ما نقضته ..

فاوست : لا تستطيع أن تكابر بعد الآن .

الشيطان : أكل هذا من أجل قصة مرجريت . أى فرق بين الاثنتين ؟ كلتاهما على صورة واحدة .

فاوست : فتاة طاهرة وامرأة بغى ، وتقول أى فرق ؟

الشيطان : كان ينبغى أن تشكرنى إذ لم أشأ أن أحضر مرجريت من ديرها لتفجر بها فى قصرك ..

فاوست : كان عليك أن تخبرنى أنها جرترود وليست مرجريت ..

الشيطان : إذن لما استقبلتها ذلك الاستقبال الرائع ، ولما استمتعت بها ذلك الاستمتاع العظيم .

فاوست : أنا لا أريد الوهم وإن كان أروع من الحقيقة .

الشيطان : فها أنتذا قد فجرت بها اليوم . فعلام ثارت ثائرتك ؟ ..

فاوست : أنت كنت السبب ، فقد ظننت أنها تخادعنى إذ زعمت أنها جاءت من الدير لتعظنى وتنصحنى ..

الشيطان : إن كنت أنا السبب لأنى أحضرتها لك فلا سبيل لك علىّ .

فاوست : أيها المغالط الكبير .. ليست مأساة مرجريت هى كل شىء ، وإنما كشفت لى زيفك وأثبتت لى أن كل ماجئتنى به منذ عرفتك إلى

الآن وهم فى وهم .

الشيطان : وما ذنبى أنا فى ذلك يا فاوست ؟ ..

فاوست : ماذا تقول ؟ ..

الشيطان : أنت وهم وكل ما حولك وهم .. وكل ما تحتك وما فوقك وهم .

فاوست : وأنت ؟

الشيطان : وأنا وهم . هذا الوجود كله وهم فى وهم .

فاوست : كلا ، إن الحقائق العلمية التى أعنتنى على اكتشافها ليست بأوهام .

الشيطان : اعترفت الآن أن ليس كل ما جئتك به وهما فى وهم ..

فاوست : إلا الحقائق العلمية ، ولذلك كنت لا تطلعنى عليها إلا على كره منك وبعد عناء طويل ، أما الخيالات والأوهام فقد كنت تغمرنى بها بكل سخاء ولو لم أطلبها منك .

الشيطان : ما يدريك لعل التى تسميها حقائق علمية هى أوهام كذلك ؟ ألا ترى أن الناس كانوا يظنون أن الأرض مسطحة ، ثم اتضح اليوم أنها كروية .

فاوست : لا تستطيع الآن أن تقول أن كرة الأرض مسطحة ، ثم اتضح اليوم أنها كروية .

الشيطان : ألا يجوز أن يظهر يوما أن كروية الأرض غير صحيحة .

فاوست : يجوز إذا ظهرت نظرية جديدة ، ولكن سيبقى بعد ذلك أن

الكروية أصح من السطحية ..

الشيطان : لقد ثبت على كل حال أن الحقيقة غير موجودة .

فاوست : كلا ، بل هذا يثبت وجود الحقيقة وإن كنا لا نعدها فى كل حين .

الشيطان : ما دمنا لا نعرفها فلا وجود لها .

فاوست : كلا ، بل الصحيح أن تقول ما دام المعلوم موجودا يتجدد فى كل حين فالعالم به موجود .

الشيطان : أين هو ؟

فاوست : لا أين . ويلك أتريد أن تنكر وجوده أيضا .

الشيطان : معاذ اللّه . ما كنت أظنك تعنيه .

فاوست : من سواه يحيط بكل شىء علما .

الشيطان : إن وجوده ليس عندى محل تساؤل . إننى أول الموحدين . لكنى أشك فى عدله وحكمته !!

فاوست : إذا اعترفت بوجوده فقد اعترفت بعدله وحكمته ، فلا وجود للّه بغير عدل وحكمة .

الشيطان : فما تقول فيما يصيب طفلا بريئا من صنوف البلاء ، وما تقول فيما يجتاح أمة بأسرها من الزلازل والبراكين والأوبئة ؟

فاوست : أعطنى علم الأزل وعلم الأبد فأشرح لك حكمة اللّه وعدله فى ذلك .

الشيطان : وما الأزل عندك وما الأبد ؟

فاوست : الأزل بداية البدايات ، والأبد نهاية النهايات .

الشيطان : كأنك ترى أن له بداية ونهاية .

فاوست : كلا ، فى وسعك أن تقول إن الأزل هو البداية التى لابداية لها ، والأبد هو النهاية التى لا نهاية لها .

الشيطان : هذا كلام محال .

فاوست : بل هو تعبير العاجز عن التعبير .

الشيطان : وفيم العجز ؟

فاوست : لأن العقل البشرى محدود . أجل غير أنى عرفت الآن أن علمك محدود كذلك ، وأنك تعتمد أكثر ما تعتمد على السحر والخرافة والتخيل والإيهام .

الشيطان : فماذا أنت صانع ؟

فاوست : سألتمس العلم ممن عنده العلم كله . من اللّه .

الشيطان : وأنى لك أن تصل إليه ؟.

فاوست : سأصل يوما إليه ..

الشيطان : ما أعظم غرورك .

فاوست : ليس غرورا ، بل هو طموح يحوطه إيمان وثقة . كما شهدته يوما فى لمحة خاطفة . فلأشهدنه غدا على الدوام ..

الشيطان : أو تظنه يرضى أن يهب لك العلم والمعرفة ؟

فاوست : هو الواهب لكل شيء .

الشيطان : أنت لا تعرف طبيعة الآلهة . إنها تغار من الإنسان إذا سعى لمعرفة

أسرار الكون والطبيعة خشية أن ينازعها الألوهية . ألم تقرأ قصة بروميثيوس كيف عاقبه كبير الآلهة زيوس ؟

فاوست : تلك خرافة من خرافاتك أشعتها فى أحلام اليونان . لقد هالك قديما أن يهتدى الإنسان إلى سر النار فتثب به وثبة كبيرة فى سلم الرقى والحضارة ، فاخترعت لبنى الإنسان هذه الأسطورة السخيفة لتصدهم بها عن القيام بمغامرات جديدة فى سبيل العلم والمعرفة .

الشيطان : هذا الذى تسميه خرافة كان الحافز الأكبر للإنسان على مضاعفة السعى إلى المعرفة واكتشاف أسرار الكون والطبيعة ، متحديا بذلك إرادة الآلهة .

فاوست : هذه خرافة أخرى من خرافاتك ، والحقيقة أن الإنسان بما أودعه اللّه فيه من الحنين إلى الكمال والنزوع إلى التقدم والتعطش للمعرفة لم يبال ـ بالأساطير التى وضعتها فمضى قدما فى استكشاف أسرار الطبيعة وما وراء الطبيعة حتى وصل إلى ما وصل إليه اليوم ، ولا يزال ماضيا فى سعيه الدائب الحثيث . وإذا كان بعض أدبائه وحكمائه قد استحوذ عليهم منطقك الخرافى فإن ذلك لن يدوم ، وسيأتى يوم قريب أو بعيد يجمع فيه بنو الإنسان قاطبة على أن اللّه هو الذى يلهمهم الحكمة والمعرفة ويريهم ويأخذ بأيديهم إلى طريق الخير والحق والجمال . يومئذ يسود وجهك وتنقطع حجتك ويضمحل سلطانك ويتحرر

الإنسان من نيرك .

الشيطان : (**في صوت غاضب**) كلا كلا .. لن يتحرر الإنسان من نيرى أبدا .

(تدخل مرجريت الحقيقية من جهة المخدع ومعها أولجا كأنها تسندها وهى فى خجل وانكسار) .

الشيطان : انظر - هذه مرجريت التى فجرت بها قد خرجت من المخدع .

فاوست : واحسرتاه ..

مرجريت : (**تحدج فاوست بنظرة دامعة**) ! هكذا يا فاوست ؟ أنت من دون الناس جميعا ؟

فاوست : (**متلعثما فى خجل**) سامحينى يا مرجريت .

مرجريت : حسبك الله .. حسبك الله - حقا ما قيل عنك . إنك بعت روحك للشيطان ..

(تتابع سيرها صوب باب الخروج) .

فاوست : (**يخفض بصره فى خجل وألم ولا يجيب**) .

الفصل الرابع

حجرة نوم كبيرة فى جناح فاوست الخاص .

يظهر جانب منها فى الجزء الأيسر من المسرح . أما الجزء الأيمن منه فيشغله جانب من الحجرة الداخلية (المخدع) . ويفصل بينهما جدار يتوسطه باب المخدع .

باب ثان فى أقصى اليسار يؤدى إلى الداخل .

باب ثالث فى أدنى اليسار يؤدى إلى الخارج .

عند رفع الستار ترى مرجريت فى المخدع ممدة على السرير مسجاة لا يظهر منها غير رأسها وهى نائمة فى غيبوبة الحمى . وقد جلس إلى جانبها فاوست وهو ينظر إليها فى عطف وإشفاق . ترى أوجا واقفة على رأس السرير وهى تمسح عن عينيها الدمع .

وفى الحجرة يرى بارسيلز وهو يستوقف إيمى وهى فى زى الراهبة ، كأنه يريد أن يكلمها وهى تصده بلطف .

إيمى : اتركنى الآن يا بارسيلز لأحضر للمريضة شيئا من الماء الساخن .

بارسيلز : كلمة واحدة يا إيمى ..

إيمى : ماذا تريد ؟ قل .

بارسيلز : أنا نادم على ما كان منى فى حقك .

إيمى : لا عليك ، قد سامحتك ..

بارسيلز : لا أريد مسامحتك .

إيمى : فماذا تريد ؟

بارسيلز : أن تلومينى وتعنفينى .

إيمى : لا أستطيع . ألا ترى هذه الثياب علىّ .

بارسيلز : يجب أن تخلعى هذه الثياب .

(تعرض عنه إيمى وتواصل سيرها ، فيستوقفها مرة ثانية)

بارسيلز : قسما يا إيمى ما قصدت إلا الخير .

إيمى : اتركنى الآن أرجوك . من أجل المريضة .

بارسيلز : بعد أن تعدينى بالقبول .

إيمى : عم تتحدث ؟

بارسيلز : عن الزواج يا إيمى .

إيمى : هيهات ، قد فات الأوان .

بارسيلز : كلا مافات الأوان .

إيمى : ألا ترانى قد اخترت خدمة اللّه وحياة الدير ؟

بارسيلز : أنا كنت السبب .

إيمى : أجل أنت كنت السبب فى النعمة التى أنعم اللّـه بهـا علـىّ ، فأنـا شاكرة فضلك ..

(تخرج ويخرج خلفها)

(يدخل رجل قصير القامة كأنه يتدحرج فى مشيه فيدور حولـه ثم يتطلع من باب المخدع) .

الرجل : ليس هنا .. أين ذهب ؟ **(يخرج)**

بارسيلز : **(يعود للظهور)** ما أروعها فى زى الراهبة .. عجيب إصرارها على الرفض وكانت تلح علىّ فى الزواج ليل نهار . تبا لها شغلتنى عن مهمتى . يجب أن أقتله فى الحال وأستولى على أوراقه ، لكن كيف ؟ المريضة تحتضر وهو عندها لا يريد أن يفارقها منذ الصباح . هل أدخل إليه الآن وأقتله والمحتضرة تنظر ؟

(يعود الرجل القصير فيخف إليه بارسيلز فيتهامسان)

بارسيلز : من أين سمعت ذلك ؟

الرجل : من جواسيسنا فى المدينة .

بارسيلز : قالوا تحرك الجيشان معا ؟ ..

الرجل : نعم ، هذا من الشرق وهذا من الغرب . ماذا أقول لهم ؟.

بارسيلز : سأنطلق معك إلى المدينة . اسبقنى أنت .

(يخرج الرجل)

لكن مهمتى لم أنفذها بعد ــ لم لا أرجئها حتى أعود من عند الجيشين . أجل يجب أولا أن أستوثق من المائة مليون مارك

(يخرج)

فاوست : **(فى مناجاة وابتهال)** يا إلهى يارب . إنى لأخجل أن أدعوك ، ولكن إلى من أتوسل إلا إليك . اللهم يئس الطبيب فامنحها شفاء من عندك . فإن لم يكن بقى من عمرها شيء فامنحها ما تبقى من عمرى واقبضنى إليك .

أولجا : **(تتمتم)** آمين .

(ينظر إليها فاوست فتخفض بصرها)

(تعود إيمى فتدخل إلى المخدع ومعها قارورة كبيرة) .

فاوست : ما هذه القارورة يا إيمى ؟

إيمى : ملأتها ماء ساخنًا لأدفئ بها قدميها **(تدس القارورة بين قدمى مرجريت)**

فاوست : يا ويحها .. أطرافها باردة ، ورأسها يكاد من الحمى يشتعل ..

إيمى : اللّه يتولاها بلطفه .

أولجا : آمين يا رب .

(تتحرك مرجريت فيتباعد عنها فاوست قليلا كأنه خجلان) .

مرجريت : أين أنا ؟ ..

إيمى : أنت هنا فى القصر .

مرجريت : أى قصر ؟ ألم أكن فى بيت خالتى أجاتا ..

إيمى : نقلناك هنا بأمر الطبيب .

مرجريت : لماذا ؟

إيمى : أفضل لصحتك ..

مرجريت : صحتى .. إنى لا أريد أن أعيش .

أولجا : بل تعيشين يا مولاتى من أجل خادمتك أولجا .

مرجريت : أولجا . أليس هذا قصر الشيطان ؟ ويلكم كيف أعدتمونى إليه ؟

إيمى : لا تخافى . أنا هنا معك .

مرجريت : أنت من ؟

إيمى : أنا إيمى ، ألا تعرفيننى .

مرجريت : إيمى لا تتركينى هنا وحدى .

فاوست : (**يتشجع**) مرجريت ، سامحينى يا مرجريت .

مرجريت : من ؟

فاوست : أنا فاوست .

مارجريت : فاوست . اغرب عن وجهى . لا أريد أن أموت والشيطان عندى .

فاوست : إنى قد قطعت كل صلة بينى وبين الشيطان يا مرجريت ..

مرجريت : يؤسفنى أننى لا أستطيع أن أصدقك .

فاوست : (**يأخذ حقيبته من تحت السرير**) انظرى هذه أوراقى وبحوثى التى كتبتها أثناء ارتباطى بالشيطان ، سألقيها كلها طعمة للنار . (**يتمتم بصوت خافض**) كلا لن تقع فى أيديهم أبدا ، لأحرقنّها وأنقذنّ العالم (**يخرج الأوراق من الحقيبة فيلقيها ورقة ورقة فى نار المدفأة**) ها أنذا قد تخلصت من كل أثر من آثاره .

مرجريت : لكن بلغنى يا فاوست أنك بعت له روحك ؟

فاوست : أجل ، ولكنى قد استرددتها منه والحمد للّه .

مرجريت : (**فى اهتمام**) أحقا يا فاوست . كيف ؟

فاوست : كان بينى وبينه عهد مكتوب فنقض هو العهد .

مرجريت : نقض هو العهد .

فاوست : لم يستطع أن يقوم بالتزامه نحوى فأعلنته أنى فى حل من التزامى

نحوه .

مرجريت : ما عادت روحك ملكا له ؟

فاوست : لا يا مارجريت . عادت لله الذى أعاننى عليه .

مرجريت : احلف لى بالكتاب المقدس .

فاوست : هاهو ذا بيدى . قسما بالكتاب المقدس .

مرجريت : ناولنى إياه (**تقبله ثم تضعه على صدرها**) الحمد لله كنت أخشى ألا أراك فى الدار الأخرى يا فاوست ، فالآن اطمأن قلبى . الآن أموت وأنا قريرة العين . إيمى أين أنت يا إيمى ؟ ..

إيمى : نعم يا مرجريت .

مرجريت : لا تنسى أن تحملى جثمانى إلى أهلى ليضعونى بجوار أبى .

(**تدخل فى السياق ثم تموت**)

(**يظلم المسرح ثم تعود الأنوار فنرى فاوست وأوجا**)

فاوست : قاتلهم الله . لم يتركوا لى وقتا لأبكى مرجريت .

أوجا : رحمها الله .. يا سيدى كانت تحبك ..

فاوست : يرحمها الله .

أوجا : معذرة يا سيدى . هل لى أن أعرف إلى أين أرسلت واجنر ؟

فاوست : (**بصوت خافض**) ألم يخبرك هو ؟

أوجا : هو لا يخبرنى بشىء يا سيدى ، كأننى لست زوجته .

فاوست : (**يضحك**) اسمعى يا أوجا . سأفضى إليك الآن بسر لا يعرفه زوجك .

أوجا : أى سر يا سيدى .؟

فاوست : إنى قد أوصيت بهذا القصر لك ولزوجك ..

أوجا : كيف يا سيدى ؟

فاوست : سيكون لكما بعد موتى .

أوجا : لاسمح اللّه يا سيدى .. ستعيش ونبقى فى خدمتك ..

فاوست : إذا عاد زوجك من مهمته فأخبريه .

أوجا : كلا لن أخبره حتى أطيل عذابه كما يفعل معى . صه ، هذا بارسيلز ياسيدى قد أقبل .

(تخرج .. يدخل بارسيلز) .

فاوست : أين كنت يا بارسيلز ؟

بارسيلز : كنت أحاول إقناع الجيشين بعدم اللجوء إلى القوة لنزاعهما عليك .

فاوست : (**فى سخرية خفية**) فهل نجحت فى ذلك ؟

بارسيلز : نجحت فى تأجيل الصدام بينهما ريثما تتخذ القرار الذى ينقذك من القتل أو الأسر .

فاوست : وما القرار الذى ينقذنى مما ذكرت ؟

بارسيلز : أن تنضم إلى إحداهما فتكون لها الغلبة على الأخرى ، فتصبح أنت سيد العالم وحاكمه المطلق .

فاوست : ويلك ! هذا ما كان يريده الشيطان . واللّه لا أكون جبارا فى الأرض أستذل الأفراد والشعوب ، ولا صنما يعبدنى الناس من

دون الله ..

بارسيلز : إذن فأعطنى الأوراق التى عندك .

فاوست : أى أوراق تعنى ؟

بارسيلز : التى فيها بحوثك وكشوفك العلمية .

فاوست : ماذا تريد أن تصنع بها ؟

بارسيلز : سأحفظها فى مخبأ أمين لا يهتدى إليه أحد .

فاوست : دعها إذن فى مكانها ، فهى الآن فى مخبأ أمين .

بارسيلز : بلغنى أنهم عرفوا ذلك المخبأ .

فاوست : إذن فسيعرفون المخبأ الجديد أيضا .

بارسيلز : كلا لن يعرفوه ..

فاوست : لا تتعب نفسك يا بارسيلز .. فإنى قد أحرقتها .

بارسيلز : أحرقتها ؟ غير معقول !!

فاوست : رأيت من واجبى ألا أبقى لها على أثر .

بارسيلز : لماذا ؟

فاوست : خشيت أن تستعمل فى تدمير الحضارة البشرية وإفناء البشر .

بارسيلز : لكن فيها كشوف علمية نافعة للناس .

فى ذلك الكشف الذى يوفر الأغذية للناس ويجعلها كالماء والهواء ؟

فاوست : أو أن يحتكروه لمضاعفة ثرواتهم على حساب الشعوب المحتاجة إلى الطعام فيزداد نفوذهم وطغيانهم على العالم .

بارسيلز : والكشف الخاص بتحويل الصحارى إلى جنات خضراء .

فاوست : هذا أخطر .

بارسيلز : كيف ؟

فاوست : هذا يقوم على التحكم فى توزيع مياه الأمطار على بقاع الأرض ، ففى وسعهم لو استحوذوا عليه أن يهلكوا من شاءوا من الشعوب بالجفاف ، ويغرقوا من شاءوا بالفيضان ..

بارسيلز : علام إذن ضحيت بما ضحيت من وقتك وراحتك ومتعتك فى سبيل تلك الكشوف العلمية ، إذا كان مصيرها هذا المصير ؟

فاوست : كنت أطمع أن يتم لى ذلك الكشف الروحى الكبير ، إذن لاستطاع الناس جميعا أن يروا نور الله فيبطل بينهم الظلم والطغيان وينقطع البغى والعدوان .

بارسيلز : ألم يكن فى وسع صاحبك أن يساعدك ؟ فلماذا قاطعته قبل أن يتم هذا الكشف ؟

فاوست : أنا ما قاطعته إلا حين امتنع عن مساعدتى فى هذا الكشف .

بارسيلز : ولماذا امتنع ؟

فاوست : لعله خشى أن يؤمن الناس جميعا ، فلا يبقى ملحد واحد على ظهر الأرض .

بارسيلز : كان عليك إذن أن تنزل له عن هذا المطلب الثقيل ولا تصر عليه ..

فاوست : يا صديقى ، إنى بعت له روحى على أساس أن يجيبنى إلى كل ما

أطلبه منه دون استثناء ..

بارسيلز : أعتقد يا فاوست أن هذا يدخل فى الشرط .

فاوست : الاتفاق يا بارسيلز بينى وبينه لا بينه وبينك ..

بارسيلز : ليس من حقك على أى حال أن تحرم البشرية من تلك المكاسب العلمية .

فاوست : إنما فعلت ما فعلته صونا لحياة البشرية وأمنها وحضارتها .

بارسيلز : أنت يا فاوست طاغية .

فاوست : (**فى دهش**) طاغية ؟

بارسيلز : تزعم لنفسك حرية البت فى قرار كهذا يتعلق بمصير البشرية كلها .

فاوست : لأنى أنا وحدى أدرك حقيقة الخطر الذى يتهدد البشرية من تلك الكشوف العلمية .

بارسيلز : أنت وحدك ؟ ..

فاوست : نعم .

بارسيلز : هكذا يعتقد فى نفسه كل طاغية (**يعاجله بطعنة فى صدره من خنجر كان يخفيه ثم يحاول الهرب**) .

فاوست : انتظر يا بارسيلز . تعال أجهز علىّ .

بارسيلز : كلا ، أنت تريد أن تطبق على عنقى بيديك القويتين .

فاوست : إنى لم أمت بعد .

بارسيلز : اطمئن ستموت لا محالة فالخنجر مسموم . (**يخرج هاربا**)

(**تدخل أوجا فتدرك فاوست وتسد فم الجرح بالخرق لتمنع**

تدفق الدم) .

فاوست : أحسنت يا أولجا .. فإني أريد أن أرى زوجك قبل أن أموت .

(ينزل ستار أمامي فيحجب المنظر السابق ويوحي الرسم الذي على الستار بمنظر خارج القصر)

(يرى بارسيلز واقفا يلهث من الجرى وهو يتلفت كأنه يخشى من مطاردة ، ثم يجلس على ركبتيه راكعا)

بارسيلز : مولاى إبليس .. مولاى لوسيفر . تجلَّ على .

الشيطان : ماذا تريد ؟

بارسيلز : ماذا أريد ؟ أريد مكافأتي . قد قتلت فاوست .

الشيطان : قتلت الرجل الذى كان أملى الوحيد وتريد مكافأة ؟

بارسيلز : ألم تأمرنى أنت بقتله ؟

الشيطان : أمرتك بقتله قبل أن يحرق أوراقه لتكون مشارا للتناول بين المعسكرين المتعادين ، ولكنك عصيت أمرى إذ أجلت تنفيذه .

بارسيلز : كلا ، ما أردت أن أعصى أمرك يا مولاى .. وإنما ذهبت إلى المعسكرين لأذكر كلا منهما بالاتفاق الذى كان بينى وبين مندوبيه ..

الشيطان : حرصا منك على المائه مليون مارك ..

بارسيلز : بل حرصا يا مولاى على تنفيذ ذلك الاتفاق .

الشيطان : فأنت الذى أحرقت تلك الأوراق بحرصك وجشعك ..

بارسيلز : هو يا مولاى الذى أحرقها .

الشيطان : لو قتلته حالما أمرتك لما تمكن من حرقها .

بارسيلز : لكن المعسكرين لا يعلمان مصير هذه الأوراق ، فسيبقى التنازع عليها بينهما كما كان .

الشيطان : أيها الغبى التافه . لقد علم المعسكران بحرق الأوراق ، بل علما أيضا بقتل فاوست ..

بارسيلز : كيف يا مولاى وما قتلته إلا منذ دقائق ..

الشيطان : قد علم فاوست أنك ستقتله فأمر خادمه واجنر ، فأعلن للمعسكرين أن سيده قد أحرق أوراقه كلها وأنه قتل بعد ذلك .

بارسيلز : إذن فما كان يريد قتلى حين دعانى لأجهز عليه .

الشيطان : أتدرى ماذا ينتظرك الآن . الذبح .

بارسيلز : الذبح ممن يا مولاى ؟

الشيطان : من كلا المعسكرين إذا علما أنك تعمدت قتل فاوست لتقضى على أمل كل منهما فى الاستيلاء عليه ، وأنك قد خدعتهما من قبل إذ عقدت معهما تلك الصفقة المزدوجة .

بارسيلز : يا ويلتا . أنقذنى إذن يا مولاى ...

الشيطان : أنقذك ؟ لولا علمى أنهم سيقتلونك لا محالة لتوليت أنا قتلك ..

بارسيلز : فيم يا مولاى ؟ لقد كنت تحبنى وتريد أن تجعلنى مكان فاوست وتكتب معى كالذى كتبته معه .

الشيطان : مكان فاوست أنت الضعيف المنحل المتهالك ..

بارسيلز : سأحاول جهدى أن أكون جديرا بثقتك فأكون لك خيرا من

فاوست ..

الشيطان : خيرا من فاوست ؟..

بارسيلز : لن أعصيك فى شىء .. سأطيعك فى كل شىء ..

الشيطان : عندى من طرازك هذا مئات الملايين من البشر فى كل جيل ، ولكنى سأنتظر جيلا بعد جيل وأحقابا بعد أحقاب قبل أن أعثر بينهم على مثل فاوست ...

بارسيلز : ماذا أصنع الآن ؟ إنى خائف .

الشيطان : اذهب فانتحر ...

بارسيلز : أنتحر ؟ ..

الشيطان : إذا شئت ألا يعذبوك ثم يصلبوك ويقتلوك ...

فاوست : ألا تستطيع يا مولاى أن تنقذنى ؟

أولجا : ماذا أصنع بك ؟ أنت لا تصلح لشىء . اذهب فانتحر .

(يرفع الستار الأمامى فيظهر المنظر الأول فى القصر ، ويرى فاوست على سرير وهو يعانى سكرات الموت وهذه أولجا تمرضه وتروّح عليه) .

فاوست : ألم يجئ واجنر بعد ؟ إنى أريد أن أراه قبل أن أموت ..

بارسيلز : بل ستراه يا مولاى وستعيش .

فاوست : هيهات يا أولجا . هيهات (**تبكى أولجا**) كلا لا تبكى يا أولجا . عما قليل سألحق بمرجريت وسأبلغها تحياتك ..

(يدخل بارسيلز بخطى ثقيلة كأنما يجر نفسه جرا)

بارسيلز : فاوست !

فاوست : من ؟ بارسيلز ادخل يا صديقى . إنى لم أمت بعد (**يتحامل على نفسه فيجلس**) .

بارسيلز : سامحنى يا فاوست .

فاوست : لا عليك . قد سامحتك ..

بارسيلز : خبرنى يا فاوست أكنت تعلم آنفا أنى سأقتلك ..

فاوست : نعم .

بارسيلز : و لم تدافع عن نفسك .

فاوست : إنك لا تعلم يابارسيلز بأنك بالتالى قد أسديت خدمة كبيرة للبشرية .

بارسيلز : أتسخر منى !

فاوست : كلا ، إنك أنقذتها من حرب عالمية مدمرة .

بارسيلز : (**يبكى**) أنت بكلامك هذا لا تدع لى مجالا للتردد .

فاوست : للتردد فى ماذا ؟

بارسيلز : فى الانتحار ..

فاوست : كلا ، لا تفعل يا صديقى فتذهب روحك للشيطان ..

بارسيلز : أتريدهم أن يعذبونى ثم يصلبونى ويقتلونى ..

فاوست : دعهم يفعلوا مابدا لهم ، ولكن لا تنتحر .

بارسيلز : كلا ، إنك تريد أن أنتقم لك من نفسى . تريدنى أن أتعذب على أيدى الجلادين ثم أموت مصلوبا على جذع شجرة (**يمشى**

القهقهرى فى خوف حتى يخرج) .

فاوست : **(يناديه بصوته الضعيف)** بارسيلز . بارسيلز **(يستلقى على السرير) .**

أولجا : دعه يا مولاى يذهب إلى الجحيم ..

(تسمع صيحة مدوية ، ثم هدة على الأرض بفناء القصر)

فاوست : **(مرتاعا)** ماذا حدث يا أولجا ؟ ..

أولجا : **(تنظر من الشرفة)** هو يا مولاى قد ألقى بنفسه من أعلى القصر .

فاوست : مسكين . فقد الثقة باللّه وبالناس وبنفسه **(يذهب فى غيبوبة)**

(يدخل واجنر باكيا محزونا فتلقاه أولجا عند الباب وتشير له بأن فاوست في غيبوبة . ثم يتهامسان كأنه يستوضحها وهى تشرح له تفاصيل ما حدث)

فاوست : **(ينتبه من غشيته)** واجنر . أهلا بك يا واجنر .. لقد انتظرتك طويلا .. **(يتحامل على نفسه مرة أخرى ويجلس)**

واجنر : **(يقبل رأس فاوست وأطرافه)** كيف أنت يا سيدى . لا بأس عليك ..

فاوست : أنا بخير يا واجنر .. ماذا فعلت هناك ؟ ..

واجنر : بلغتهم الرسالة يا سيدى كما أمرتنى ..

فاوست : بلغتهم أننى قتلت ؟

واجنر : نعم يا سيدى . ما كنت أظن إلا أنها مناورة سياسية كما بينت لى ، وأنك تنوى الهرب إلى حيث لا يعرفك أحد .

فاوست : أجل ، ولكن هذا الذى حدث يا واجنر أفضل لى فقد سئمت الحياة واشتقت إلى الموت ..

واجنر : فيم يا سيدى ؟ ..

فاوست : لم يبق لى فى الحياة ما يستحق أن أعيش من أجله .

واجنر : بعد مرجريت ؟.

فاوست : بعدها وبعد كل شىء .

أولجا : ونحن يا سيدى ، ألا يعز عليك أن تتركنا ؟.

فاوست : ما يعزينى أنكما ستبقيان بعدى لتحدثا الناس عن حقيقتى .

أولجا : ياليت يومنا قبل يومك .

واجنر : أجل يا سيدى لا أدرى كيف نعيش من بعدك .

فاوست : ستعيشان بعدى عيشة هانئة . ألم تخبرك أولجا بالوصية .

واجنر : بلى يا سيدى ، ولكنها لم تخبرنى من أجلها هى أم من أجلى ؟

فاوست : من أجلكما معا ..

واجنر : القصر كله .

فاوست : بكل ما فيه .. ما بالك تنظر هكذا إلىّ ؟

واجنر : فى نفسى سؤال حائر .

فاوست : ما هو ؟!

واجنر : ولا تغضب منى ..

فاوست : ماذا يغضبنى !

واجنر : وتجيبنى بالصدق ؟

فاوست : نعم .

واجنر : تذكر يا سيدى أنك قادم على اللّه الذى لا تخفى عليه خافية .

فاوست : ويلك أفصح . ماذا تريد ؟

واجنر : لا أستطيع ..

أولجا : أنا سأخبرك يا سيدى بما فى قلبه .

واجنر : كلا يا أولجا ..

أولجا : إنه يشك يا سيدى فى وجود شىء بينك وبينى ...

فاوست : ولم تخبريه أنت بالحقيقة ؟

أولجا : لم يشأ أن يصدقنى ...

فاوست : سامحك اللّه يا واجنر . تسألنى هذا السؤال السخيف وأنا على وشك أن أموت ؟ ..

واجنر : لكى تخبرنى بالحق .

فاوست : (**يبتسم**) ولو كان مرّا يا واجنر ؟ ..

واجنر : ولو كان مرا .

فاوست : أحلف لك بكل مقدس يا واجنر ما وقع بينى وبينها أى شىء . إنها كانت خادمة مرجريت فلها عندى قداسة خاصة .

واجنر : الحمد للّه . الآن اطمأن قلبى (**يوسع رأس فاوست تقبيلا**) لا تؤاخذنى يا سيدى فقد كانت مغامراتك الغرامية لا تنتهى عند حد ، وكان الشيطان مرابطا عندك ...

فاوست : الحمد للّه . قد تخلصت الآن من قبضته .

الشيطان : (**يسمعه فاوست دون غيره**) هيهات يا فاوست . أنسيت أنك بعت لى روحك .

فاوست : (**فى غضب**) وأنت أنسيت أنك أخللت بالاتفاق الذى بينى وبينك ؟

واجنر : الشيطان جاء يحاوره .

أولجا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

(يبتعد الزوجان فى خوف وهما يرسمان الصليب ثم يخرجان)

الشيطان : كلا ، لقد وفيت لك بكل ما علىّ .

فاوست : لو صح ما تقول لكانت روحى الآن فى قبضة يدك .

الشيطان : ستكون فى قبضة يدى بعد قليل .

فاوست : هيهات .

الشيطان : أنسيت يا مسكين أنك الآن تحتضر ؟

فاوست : لتعود روحى إلى بارئها .

الشيطان : بل لتعود إلى مالكها .

فاوست : اللّه هو مالكها .

الشيطان : بل أنا .

فاوست : قد انتصرت عليك فى الدنيا فهيهات أن تنتصر علىّ فى الآخرة .

الشيطان : اسمع يا فاوست ، لقد كنا صديقين برهة من الزمن . فما ضر لو بقينا صديقين كما كنا .

فاوست : كيف تكون صديقى وأنت تريد إزهاق روحى ؟

الشيطان : من قال لك ؟ بل أريد أن أكرمها وأجعلها تعيش معى إلى الأبد .

فاوست : فى الجحيم ؟!

الشيطان : لو عرفت حقيقة الجحيم وحقيقة الجنة ، لآثرت الجحيم على الجنة .

فاوست : كلا لن أوثر دار العذاب على دار النعيم أبدا .

الشيطان : ما أسرع ما تنكرت لطبعك . لقد كنت تؤثر المشقة والعذاب على الملذات والمتع .

فاوست : فى سبيل ما هو أسمى وأكرم .

الشيطان : فهذا ما أدعوك إليه الآن . أدعوك إلى الكفاح السرمدى فى سبيل ما هو أسمى وأكرم من الإخلاد إلى النعيم .

فاوست : لقد كشف الغطاء عنى فلا تحاول أن تخدعنى . إن أهل الجحيم إنما يكافحون فى سبيل الخلاص من عذاب سرمدى لا خلاص لهم منه أبدا ، فهم لا يرتقون ولا يتطورون .

الشيطان : وأهل النعيم لا يكافحون ألبتة فهم سلبيون على الأرائك متكئون ، لا يعملون ولا يفكرون .

فاوست : كلا ، تلك صورة عن الجنة باطلة ، فالجنة ليس فيها سأم ولا ملل ، فلابد أن يمارس أهلها نوعا من الكفاح ، إن يخل من التعب والمشقة والتوتر فليس يخلو من لذة التجدد وال .. والتطور .

الشيطان : إنك تحلم وتتخيل يا فاوست .

فاوست : مهما أتخيل فلن يبلغ خيالى بعض ما فى الجنة مما لا عين رأت ولا

أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

الشيطان : عهدى بك يا فاوست أنك تنشد المعرفة الشاملة ، وتريد أن تعرف كل شىء .

فاوست : ولكنى لم أجد عندك ما أريد .

الشيطان : ما كان يعجزنى أن أفتح لك أبوابها على مصاريعها ، لولا قيد الحياة الذى يربطك بالأرض ويحول بينك وبين الانطلاق . أما بعد الموت فسيكون لك عندى كل ما تريد .

فاوست : أنا ذاهب إلى من عنده العلم كله ، فما حاجتى إليك ؟

الشيطان : لن يجود لك بكل ما تريد . أوقد نسيت غيرة الآلهة ؟

فاوست : الآلهة التى اخترعتها أنت للبشر .

الشيطان : حقا اخترعتها لهم ولكنى اخترعتها على مثاله هو . فما يصدق عليها يصدق عليه .

فاوست : كلا ، بل اخترعتها على مثالك أنت . إنك تغار من البشر لأنك عاجز ضعيف .

الشيطان : بعد كل الذى أسديته إليك ؟ ما أنكرك للجميل !

فاوست : كلا ، لست أنكر جميلك . أتدرى ما أكبر جميل لك عندى ؟

الشيطان : هيه ؟

فاوست : إنك زدتنى إيمانا بالله ، وما شهدت الحقيقة الكبرى إلا بعد ما عرفتك .

الشيطان : أنا الحقيقة الكبرى يا فاوست .

فاوست : كلا ، أنت نقيضها .

الشيطان : أنا الوجود . وهو العدم .

فاوست : كلا ، بل هو الوجود وأنت العدم . هو النورُ وأنت الظلام . هو الحياة وأنت الموت .

الشيطان : أنا إذن أكبر منه وأوسع وأقوى .

فاوست : كلا .. كلا .

الشيطان : العدم أكبر من الوجود ، والظلام أوسع من النور ، والموت أقوى من الحياة .

فاوست : هذا الجدل المنطقى لا ينفى حقا ولا يثبت باطلا .

الشيطان : ماذا تعنى ؟

فاوست : ليس لك أن تأخذنى بما قلت آنفا ، فقد أدركنى العجز عن التعبير الصحيح . وإلا فالحقيقة أنه هو الوجود والعدم ، وهو النور والظلام ، وهو الحياة والموت .

الشيطان : الآن كفرت .

فاوست : بل هذا هو الإيمان الصحيح . فاللّٰه هو الذى خلق العدم يوم خلق الوجود . وخلق الظلام يوم خلق النور . وخلق الموت يوم خلق الحياة .

الشيطان : لكنك قلت آنفا أننى النقيض .

فاوست : كلا . لا وجود لك إلا فى عالم الإنسان فقط حيث الخير والشر ، وحيث الإحسان والإساءة ، وحيث العمل والجزاء . أما فى

الكون المطلق فأنت لا شيء .

الشيطان : لا شيء ؟

فاوست : لا وجود لك . اللّه وحده هو الموجود .

(فى خلال هذا المشهد كان يسقط على المسرح شعاع أحمر من جهة الشمال . وكان فاوست كأنه يقاومه كلما سقط على وجهه. وما أن نطق فاوست بالجملة الأخيرة (اللّه وحده هو الموجود) حتى انبثقت من جهة اليمين أشعة خضراء تعظم شيئا فشيئا حتى تغمر المسرح كله) .

أصوات : **(من جهة الأشعة الخضراء)** ابتعد عنه يا إبليس فلا سبيل لك عليه .

الشيطان : بل ابتعدوا أنتم عنه . لا شأن لكم به . فقد باع لى روحه .

الأصوات : ولكن البيع لم يتم إذ لم تستطع أن تدفع الثمن .

الشيطان : بلى ، لقد دفعت الثمن وقبضه منى .

الأصوات : أنسيت يا إبليس أنكما جعلتما اللّه بينكما شهيدا ..

الشيطان : ولكنه لم يشهد بالحق .

الأصوات : اخسأ يا رجيم .. **(تسمع أصوات سياط تضرب)**

الشيطان : كلا لا تضربونى . لا حق لكم أن تضربونى . إنى أطالب بحقى .

الأصوات : أبعد يدك عنه .

الشيطان : إن روحه ملكى بنص العقد .

الأصوات : قد نقضت العقد فلاحق لك . **(أصوات السياط)**

الشيطان : آه .. آه .. كفوا عنى .

الاصوات : اغرب أنت وشياطينك .

الشيطان : هيا بنا يا رفاق . إن خسرنا اليوم فقد كسبنا أياما كثيرة .

فاوست : الحمد لله .. الآن أموت مطمئن النفس .

(يعود واجنر وأولجا إلى مكانهما بجوار السرير)

الزوجان : كيف أنت الآن يا سيدى ؟

فاوست : الحمد لله .. اسمعا ، ألا تسمعان ؟

الزوجان : ماذا يا سيدى ؟

فاوست : هذه الموسيقى العذبة . الموسيقى الملائكية .

(تسمع موسيقى كنائسية جميلة ، ولكن الزوجين لا يسمعان شيئا مما يدور منذ الآن حتى نهاية المسرحية ، إلا الكلمات التى يقولها فاوست) .

(يصحب الموسيقى غناء جماعى فى لحن دينى بديع) .

بشـراكِ بالتجلـة وبالرضـى والجنـة
أيتهـا النفـس الـتى بالـرب مطمئنـة
عـودى إليـه ثانيـة فى غبطـة وعافيـة
مرضيـة وراضيـة مهديـة وهاديـة

رقم الإيداع : ٥٩١٣ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى : 8 - 1401 - 11 - 977

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

أعمال باكثير المجهولة

ترك أديب العربية الكبير المتعدد المواهب الأستاذ علي أحمد باكثير تراثًا أدبيًا مخطوطًا يتمثل في عدد كبير من المسرحيات والقصص فضلاً عن شعره الغزير الذى لم يصدر فى دواوين أثناء حياته .

وحفاظًا على هذا التراث الأدبى القيم من الضياع فإن « مكتبة مصر » التى أمتعت به أبناء الجيل الماضى منذ كان لها شرف تقديم جُلّ إنتاجه للقراء ابتداءً من سنة ١٩٤٣ م ، أعادت طبع جميع أعماله فى ثوب جديد حتى تتيح لأبناء هذا الجيل فرصة الاستمتاع بفنه البارع الرفيع .

وبعد مضى أكثر من ثلاثين عامًا على وفاته ، تضيف مكتبة مصر إلى ذلك الرصيد الأدبى الضخم أعماله المجهولة التى لم تطبع فى حياته تنشرها اليوم فى سلسلة تحت هذا العنوان ، مُصدَّرة بمقدمات ودراسات .

وتعتبر « مكتبة مصر » على أحمد باكثير واحدًا من أنضج أدباء العرب والمسلمين فى القرن العشرين ، وأن نشر أعماله « رسالة » ورسالتها أن تجعل مؤلفات هذا الأديب العملاق فى م... والباحثين لينال ما يستحقه من الدراسة والتقدير .

مكتبة مصر

سعيد جودة السحار وشركاه



دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ٥ جنيهات